النَّفْحُ الشَّذِي

شرح نونية الأدب للشاحذي

نظم وشرح

أبي البراء هاني بن محمد بن حمود الشاحذي

كان الله له

تقديم فضيلة الشيخ العلامة

يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله

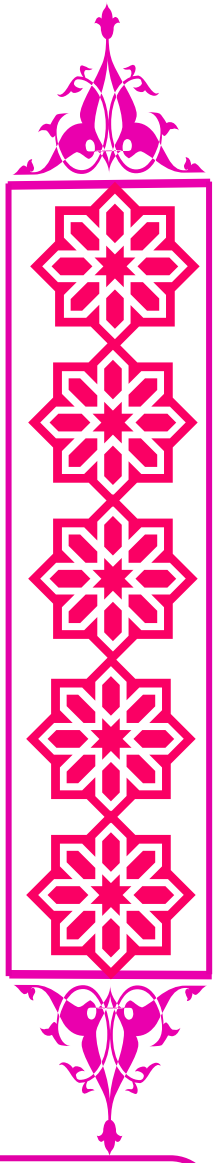

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري

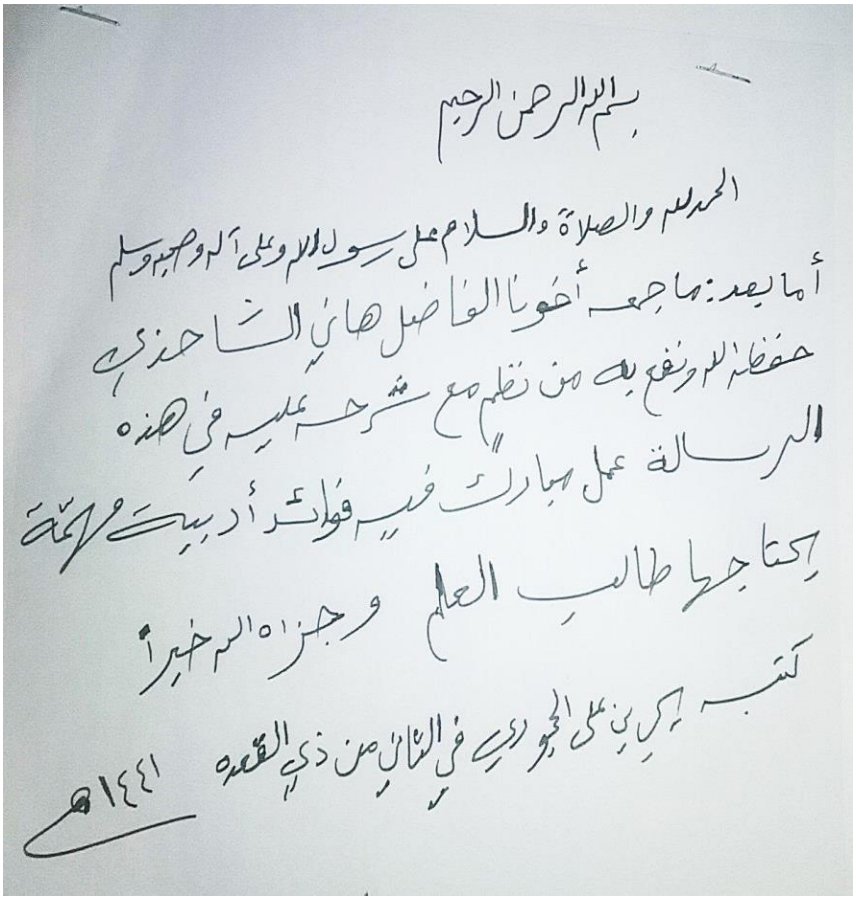

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم

أما بعد: فقد جمع أخونا الفاضل هاني الشاحذي حفظه الله ونفع به من نظم مع شرحه عليه في هذه الرسالة عمل مبارك فيه فوائد أدبية ومهمة يحتاجها طالب العلم وجزاه الله خيراً

كتبه يحيى بن علي الحجوري في الثاني من ذي القعدة ١٤٤١هـ

المنظومة

[١] حَمْـدًا لِـرَبِي ذِي الجَـلَالِ لِفَضْـلِهِ ... بِعِـدَادِ حَصْـبِ الأَرْضِ وَالكُثْبَـانِ

[٢] يـا رَبِّ دَومـاً أَسْـبِغَنَّ فَضَـائِلاً ... علمـاً مـدى الأَيَـامِ والأَزْمـانِ

[٣] يَـا أَيُّهـا النِّـبرَاسُ هَـاكَ جَـواهِراً ... أَغْلَى مِـنَ اليَـاقُوتِ والمَرْجَـانِ

[٤] فَـاظفَرْ بِهَـا دَوكَا تَضَـوَّعَ رِيحهَـا ... أُزْجِي إِليـكَ قَلائِـداً بِجِسـانِ

[٥] كُـنْ حَـاذِراً مـنْ كُلِّ شَـائِبةٍ وَ مـا ... يُعْـمِي وَيُـذْهِبُ رَوْنَـقَ الوِجْـدَانِ

[٦] دَاءُ الغُـرُورِ كَـذا الرِيَـاءُ و سُـمْعَةٌ ... حُبُّ الظُهُورِ فَـذَا اعْوِجَـاجُ جَنَـانِ

[٧] طلـبٌ لعلـمٍ لاكْتِسـابِ مَعِيشـةٍ ... قَـدْ حَـذَّرَ المَنَّـانُ مِـن ذَا الـرَانِ

[٨] فَـاظْفَرْ بسُـنَّة أَحْمـدٍ و اعْمَـلْ بِهـا ... حـتَى تَفـوزَ بِسِـلْعَةِ الـرَحْمَنِ

[٩] أَكْـرِمْ بِـهِ نـوراً مُضِـيئاً سَـاطِعاً ... أنعِـم بِـه مِـن مُرشـدٍ بِبَيَـانِ

[١٠] لاَزِمْ عَفَافَ النَفْسِ وَاكْتَسِ بـالغِنَى ... وَانْـأَى بِنَفْسِـكَ عَـنْ ذَوي الأَدْرَانِ

[١١] أَعْـنِي بِـهِ دَرَنَ التَسَـوُّلِ إِنَّـهُ ... يُفْـنِي إِذَا مَـا قَارَفَتْـهُ يَـدَانِ

[١٢] حَسِّـنْ جمَالَـكَ بِالسَّـكِينَة وَالتُّـقَى ... إِنَّ التَّـقِيَّ يَفُـوزُ بِـالغُفْرَانِ

[١٣] وَأَبَـانَ ذَلِـكَ رَبُّنَـا فِي ذِكْـرِهِ ... فِي سُـورَةِ الأَنْفَـالِ يَـا إِخـوَانِ

[١٤] كُـنْ طَالِبـاً للحـقِّ مُرْتَضِـياً بـهِ ... وَاحْذَرْ وَحـاذِرْ مِـنْ ذَوي المَـيَلانِ

[١٥] وَارْقُبـهُ دَوْمـاً خَاضِـعاً مُتَوالِيـاً ... وَكـذَا ادْعُـوَنْ بِالسِـرِ وَالإِعـلَانِ

[١٦] وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ وَانْبُـذَنَّ الكِبْرِيَـا ... وَاعْمَـلْ لِذَاكَ مُصَـاحِب اليَقْظَـانِ

[١٧] وَاصْـبِرْ أُخَيَّ عَلَى البَـلَاءِ بِـأَسْرِهِ ... إِنَّ الصَـبُورَ لظَـافِرٌ بِجِنَـانِ

[١٨] لاَ زَالَ ذَاكَ مُـدَوَّناً فِي نُـورِهِ ... وَمُوَضَّـحاً فِي سُـورَةِ الإِنْسَـانِ

[١٩] فَـاظْفَرْ بِهَـا مِـنَ سُـورَة وَضَّـاحَةٍ ... قَـدْ بَـيَّـنَت مَـا عُـدَّ فِي الرَّيَّـانِ

[٢٠] لاَزِمْ عَفَـافَ النَفْـسِ عَـنْ شَـهَوَاتِهَا ... حَـتَى تَفُـوزَ بِسِـلْعَةِ الـرَحْمَنِ

[٢١] مِصْـدَاقُ ذَلِـكَ مَـا رَوَاهُ أَئِمَـةٌ ... فِي كُتْـبِهِمْ وَرَوَوْهُ عَـنْ ثَوْبَـانِ

[٢٢] لا تَسْـأَلَنّ بُـنَيَّ آدمَ حَاجَـةً ... فـإِذَا فَعَلْـتَ تَفُـزْ بِخَـيرِ جِنَـانِ

[٢٣] وَازْهَـدْ بِـدُنْيا وَاطْلُـبَنَّ لِجَنَّـةٍ ... تَنْجُـو بِنَفْسِـكَ مِـنْ لَظَى النـيرَانِ

[٢٤] لاَزِمْ ثَبَاتًـا فِي سُـوَيْعَاتِ الـوَغَى ... إِنَّ الدَلِيـلَ مُثَبِّـتٌ لِجَنَـانِ

[٢٥] وَتَحَـلَّ بِـالرِفْقِ الذي أُوتِيتَـهُ ... إِنَّ النُفُـوسَ تُمَـالُ بِالإِحْسَـانِ

[٢٦] وَاحْذَرْ لِبَاسِ العُجْمِ وارْضَ بِـالغِنَى ... أَعْـنِي غِنَـاءَ النَفْـسِ لَا الأَبْـدَانِ

[٢٧] كُنْ صَادِعاً بِالحَقِّ لا تخْشَ الـوَنَى ... فَـالحَقُّ مِصْـدَاقُ القـوَى بِجَنَـانِ

[٢٨] وَاعْلَـمْ بِـأَنَّ ذَوِي الـكَلَامِ وَأَهْلَـهُ ... قَـدْ أُغْمِسُـوا فِي الشَـرِّ وَالتَيَهَـانِ

[٢٩] لَا تَأْخُـذَنَّ العِلْـمَ عَـنْ ذِي شُـبْهَةٍ ... حَـتَى تُضِـيءَ طَرِيقَـةَ الحَـيْرَانِ

[٣٠] وَاعْـرِفْ لِشَـيْخِكَ فَضْـلَهُ وَجُهُـودَهُ ... تَظْفَـرْ بِشَـيخٍ يَـا أَخَـا العِرْفَـانِ

[٣١] اضْـبِطْ مَفَـاتِيحَ العُلُـومِ مُثَـابِراً ... إِنَّ العُلُـومَ تُنَـالُ بَالإِتْقَـانِ

[٣٢] تَأْصِـيلُ عِلْـمٍ وَالتِمَـاسُ مُـذَاكِرٍ ... حَـتَى يَزِيـدَ اللُّـبّ زَادٌ ثَـانِ

[٣٣] لاَ تَنْشَـغِلْ بِمُطَوَّلٍ وَاسْـلُكْ كَمـا ... دَرَبَ الهـدَاةُ ذَوُو الحِـجَى والشـانِ

[٣٤] وَتَجَنَـبَنَّ مِـنَ السُـؤَالِ بِكَـثْرَةٍ ... كُـثْرُ المَسَـائِلِ مُـوَرِثُ الإِكْعَـانِ

[٣٥] قَيِّـدْ عُلُومَـكَ بِالكِتَابَـةِ وَالتُّقَى ... تَسْـمُو قُيُـودُكَ فِي مَـدَىْ الأَزْمَـانِ

[٣٦] وَاجْعَـلْ لِنَفْسِـكَ هِمّـةً تَعْلُـو بِهَـا ... لِتَصِـيرَ بَـدْراً مُشْـرِقاً بِعَنَـانِ

[٣٧] كَـمْ أُمـةٍ مُحْتَاجَـةٍ لِذَوِي النُّـهَى ... أَكْـرِمْ بِهِـمْ مِـنْ أَنْجُـمٍ شُـجْعَانِ

[٣٨] لاَ تُعْظِـمِ البِـدْعِيّ وَاعْلَـمْ أَنَّـهُ ... شَرٌّ عَلَى المَنْهَـاجِ وَالأَذْهَـانِ

[٣٩] كُـنْ سَـالِكاً دَرْبَ الصَحَابِةِ كُلِّهِـمْ ... هَـلّا رَكِبْـتَ البَحْـرَ بِالإِحْسَـانِ

[٤٠] أَعْـنِي بِـهِ بَحْـرَ العُلُـومِ بِأَسْرِهَـا ... ذَاكَ الذِي هُـوَ مُـثْلِجُ الوِجْـدَانِ

[٤١] حَاذِرْ جَلِيسَ السُوءِ وَاكْتَسِ بِالتُّقَى ... وَاحْـذر وَحَـاذِرْ مَـنْ لَهُ وَجْهَـانِ

[٤٢] مِصْـدَاقُ ذَلِـكَ مَـا رَوَاهُ مُسْـلِمٌ ... أَكْـرِمْ بِـهِ مِـنْ حَـافِظٍ رَبّـانِ

[٤٣] حُسْـنُ المُعَلَّـمِ أَنْ يَـرُومَ سَـكِينَةً ... فِي جَلْسَـةِ الإِلْقَـاءِ والتِبْيَـانِ

[٤٤] نَـاظِرْ بِعِلْـمٍ وَادْحَضَـنَّ لِبَاطِـلٍ ... إِنَّ الـلَّدُودَ مُصَـاحِبُ الخُسْـرَانِ

[٤٥] كُـنْ عَامِـلًا بِعُلُـومِ دِينِـكَ كُلِّهَـا ... حَـتَى تَفُـوزَ بِرَوضَـةٍ وَجِنَـانِ

[٤٦] نَأْيـاً بِنَفْسِـكَ عَـنْ عُقُـوقٍ إِنَّـهُ ... سَـيفٌ عَلَى الأَرْوَاحِ وَالأَبْـدَانِ

[٤٧] مَنْ لَـمْ يَكُـنْ ذَا رِحْلَـةٍ فَلْـيَرْحَلَن ... لِسَـمَاعِ عِلْـمِ العَـالِمِ الرَبّـان

[٤٨] كَرِّسْ جُهُودَكَ فِي المُتُـونِ وَحِفْظِهَـا ... إِنَّ العُلُـومَ تُنَـالُ بِالإِتْقَـانِ

[٤٩] وَكَـذَا مُرَاجَعَـةِ المُتُـونِ وَضَـبْطِها ... إِنَّ القُلـوبَ تُصَـابُ بِالنِّسْـيَانِ

[٥٠] افْـزَعْ إِلَى الـبَرِّ الـرَحِيمِ لِنَيْلِهَـا ... يَحْفَظْـكَ مِـنْ شَرٍّ وَمِـنْ عُـدْوَانِ

[٥١] فَـادْعُوهُ دَوْمـاً آيبـاً وَمُطَـاوِعاً ... لِصَـلَاحِ قَلْـبٍ سَـائِرَ الأَزْمَـانِ

[٥٢] كُـنْ أُمْنَـةً فِي ذَا التَحَمُّـلِ وَالأَدَا ... خُـذْهَا أَخِي بِأَمَانَـةٍ وَأَمَـانِ

[٥٣] كُـنْ صَـائِناً لِلُّـبِّ مُحْتَفِظـاً بِـهِ ... مِـنْ شَرِ كُلِّ مُضَـلِّلٍ فَتَـانِ

[٥٤] أَعْـنِي بِـهِ البِـدْعِيّ بَـاطِرَ نِعْمَـةٍ ... أُشْـدُدْ عَلَيْـهِ القَـوْلَ بِالبُرْهَـانِ

[٥٥] نَـصٌ مِـنَ القُـرْآن أَو مِـنْ سُـنَّةٍ ... أَكْـرِمْ بِـهِ مِـنْ مَـنْهَجٍ رَبّـانِ

[٥٦] وَابْـذُلْ مِـنْ العِلْـمِ الذِي أُوتِيتَـهُ ... فَخِبـاؤُهُ يُفْضِـي إِلَى النُقْصَـانِ

[٥٧] اغْـنَمْ شَـبَابَكَ فِي العُلُـومِ وَبَـذْلِهَا ... لِرَشَـادِ كُلِّ مُضَـلَّلٍ حَـيْرَانِ

[٥٨] هَـذَا هُـوَ القَصْـدُ الذِي مِـنْ أَجْلِـهِ ... سَـبقَ الأَئِمَّـةُ غَـيرَهُمْ لِعَنَـانِ

[٥٩] رَوِّضْ فُؤَادَكَ بِالكِتَابِ وَسُنَّةٍ ... إِنَّ القُلُوبَ تَمَلُّ كَالأَبْدَانِ

[٦٠] كُنْ مُغْرَماً بِالكُتْبِ وَاعْلَم أَنَّهَا ... رَفْعُ الرُؤوسِ وَسِيمَةُ التِيجَانِ

[٦١] وَإِذَا أَرَدْتَ تَمَكُّناً فِي مَطْلَبٍ ... جَرِّدْ كِبَارَ الكُتْبِ بِالبُرْهَانِ

[٦٢] حَاذِرْ أُخَيَّ مِنَ التَعَالُمِ وَ المِرَا ... فِي دِينِنَا يُفْضِي إلى الشَنَآنِ

[٦٣] فَاحْذَرْ أُخَيَّ هُدِيتَ مِنْ كُلِّ الرَدَى ... إِنَّ الرَّدَى وَالرَّانَ يَجْتَمِعَانِ

[٦٤] وَتَصَدُّرٌ فَاحْذَرْهُ قَبْلَ تَأَهُّلٍ ... عَارٌ عَلَى التَعْلِيمِ والأَذْهَانِ

[٦٥] إِيَاكَ لَا تُعْجَبْ بِعِلْمٍ أَوْ ذَكَا ... إِنَّ الغُرُورَ مَدَارِجُ الخُسْرَانِ

[٦٦] وَكَذَا بُرُوزٌ للبُحُوثِ وِجَمْعِهَا ... مِنْ قَبْلِ نُضْجِ فَوَائِدٍ وَبَنَانِ

[٦٧] وَإِذَا ظَفِرْتَ بِعَثْرَةٍ لِمُعَلِّمٍ ... فَأَبِنْ لَهُ مُتَفَرِّداً بِحَنَانِ

[٦٨] لاَ تَفْرَحَنَّ بِزَلَّةٍ مِنْ عَالِمٍ ... فَرَوَاجُهَا عَارٌ عَلَى البُلْدَانِ

[٦٩] إِلا بَيَاناً للضِيَاءِ مِنْ العَمَى ... فَبِهِ قِيَامُ الدِينِ وَ الأَرْكَانِ

[٧٠] لَازِمْ دَوَاءَ النَفْسِ وَاعْلَمْ أَنَّهَا ... أَمَّارَةٌ بِالسُوءِ وَالعُدْوَانِ

[٧١] وَكَذَا اللِّسَانُ احْذَرْهُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ ... يودِي بِنَفْسِكَ هُوَّةَ النِّيرَانِ

[٧٢] قَيِّدْ مَسَارَكَ بِالكِتَابِ وَسُنَّةٍ ... فَالقَلْبُ مَجْبُولٌ عَلَى المَيلَانِ

[٧٣] لَا تَأْخُذَنَّ العِلْمَ عَنْ ذَي بِدْعَةٍ ... إِنَّ الهَوَى يُعْمِي بِذِي الفَتَّانِ

[٧٤] مِنْ لَازِمِ الإِيمَانِ حُبُّكَ عَالِماً ... هَذَا مُضَمَّنُ مَنْهَجِ الدَيَّانِ

[٧٥] إِنْ ضَلَ عَنْ سيرِ الهُدَى فَجَزَاؤُهُ ... أَنْ يُحْذَرَنَّ عَلَى مَدَى الأَزْمَانِ

[٧٦] وَالشَرُّ كُلُّ الشَرِّ فِي حِزْبِيَّةٍ ... تُعْمِي وَتُذْهِبُ رَونَقَ الإِخْوَانِ

[٧٧] مِنْ أَعْظَمِ الخُذْلَانِ سِيرَةُ طَالِبٍ ... سَيراً شَئُوماً مُفْزِعاً لِجِنَانِ

[٧٨] إِفْشَاءُ سِرٍّ وَادِخَارُ ضَغَائِنٍ ... نَقْلُ الحَدِيثِ بِنِيَّةِ الإِفْتَانِ

[٧٩] حَسِّنْ ظُنُونَكَ بِالأَكَارِمِ وَالتُّهى ... إِنَّ اللَئِيمَ يَخُوضُ فِي الدُهْقَانِ

[٨٠] فَاللهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ ... وَجُنودِهِ فِي سَائِرِ البُلْدَانِ

[٨١] دُرَرٌ أَتَتْ دَوَنْتُهَا عَنْ عَالِمٍ ... للهِ دَرُّ مَشَايِخٍ شُجْعَانِ

[٨٢] فَاللهَ أَسْأَلُ أَن يُدِيمَ لِدِيْنِنَا ... عِزًا وَتَمْكِيناً مَدَى الأَزْمَانِ

[٨٣] وكَذَا سُؤَالًا أَن يُثَبِّتَ قَوْلَنَا ... يَوْمَ الوُقُوفِ وَحَسْرَةِ العِصْيَانِ

[٨٤] ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَبِيِّ مُحَمَّدٍ ... الهَاشِمِيْ ذِيْ الجُودِ و الإِحْسَانِ

[٨٥] وَالآلِ وَالأَصْحَابِ وَالسَارِي عَلَى ... دَرْبِ الحِجَا وَالبِرِّ وَالإِذْعَانِ

مقدمة الناظم

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشْهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [سورة النساء :١].

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْد:

فَإِنَّ أصدقَ الكلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُور مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

فهذه نونيةٌ مختصرةٌ جمعت فيها جملةً من الآداب العليَّة، والمنحِ المَرْعِيَّةِ التي يحتاجُها طالبُ العلمِ في حياته، استفدتها واقتبست أكثرها من كتاب: "**حلية طالب العلم**" للشيخ بكر أبو زيد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

ولمَّا رأيت الحاجةَ تمسُّ إلى الأدب، وأنه لا غنى لطالب العلم عنه، استعنت بالله عَزَّ وَجَلَّ وحده، فشرعت في شرح هذه الأبيات التي نظمتها على قلة بضاعتي، وركاكة شعري مستفيدا في ذلك من الكتب التي أُلِّفَت في الأدب.

فالأدب به ينبل المرء، ويعظم قدره، ويجلسه مجالس الملوك على الأسرة، فهو من أبلغ السجايا، وأطيب الخصال، ولذا تنافس إلى بلوغه شرفاء العرب، حتى ضربت بهم الأمثال، وسار بذكرهم الركبان، عبر الليالي والأزمان.

وقد قيل:

يكسو الْفَتى حللا تبقى عَلَيْهِ وَمَا ... نَالَ الْفَتى حلَّة أبهى من الْأَدَب

وقال آخر:

مَا وَهَبَ اللهُ لامْرِئٍ هِبَهْ ... أَشْرَفَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ

هُمَا حَيَاةُ الْفَتَى فَإِنْ فُقِدَا ... فَإِنَّ فَقْدَ الْحَيَاةِ أَجْمَلُ بِهْ

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "الآداب الشرعية" لابن مفلح (٣/٥٥٣):

(وَ لَا يَنْبُلُ الرَّجُلُ بِنَوْعٍ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُزَيِّنْ عَمَلَهُ بِالْأَدَبِ).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مدارج السالكين" لابن القيم (٢/٢٥٥):

(نَحْنُ إِلَى قَلِيلٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ).

وقد عظمت الوصية بالأدب، لذلك تكاثرت أقوال الأئمة في الحثّ عليه، والملازمة له.

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ كما في "السير" للذهبي (٨/١١٣):

(مَا نَقَلْنَا مِنْ أَدَبِ مَالِكٍ أَكْثَرُ مِمَّا تَعَلَّمْنَا مِنْ عِلْمِهِ).

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ لِرجل مِنْ قُرَيْشٍ كما في "الحلية" لأبي نعيم (٦/٣٣٠):

(يَا ابْنَ أَخِي تَعَلَّمَ الْأَدَبَ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ).

قال ابن القيم كما في "مدارج السالكين" (٢/٣٦٨):

وَأَدَبُ الْمَرْءِ: عُنْوَانُ سَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ. وَقِلَّةُ أَدَبِهِ: عُنْوَانُ شَقَاوَتِهِ وَبَوَارِهِ.

فَمَا اسْتُجْلِبَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الْأَدَبِ، وَلَا اسْتُجْلِبَ حِرْمَانُهُمَا بِمِثْلِ قِلَّةِ الْأَدَبِ.

وَقَالَ يُوسُفُ بن الحسين كما في "اقتضاء العلم العمل" للخطيب (١٧٠):

«بِالْأَدَبِ تَفْهَمُ الْعِلْمَ».

أسأل الله **عَزَّ وَجَلَّ** بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفعنا بما علمنا، وأن يرزقنا علما ينفعنا، وأن يتوفانا على الإسلام والسنة، وعلى صريح الإيمان.

كتبه الفقير إلى عفو ربه:

أبو البراء هاني بن محمد بن حمود بن أحمد الشاحذي

كان الله له في الدارين - آمين

في دار الحديث بالعمود - مأرب

بتاريخ ١٥/ رجب/١٤٤١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] حَمْـدًا لِـرَبِي ذِي الجَـلَالِ لِفَضْـلِهِ بِعِـدَادِ حَصْـبِ الأَرْضِ وَالكُثْبَـانِ

❖الشرح:

بدأ الناظم -عفا الله عنه- نونيته بالحمد والثناء على الله بما هو أهله، اقتداءً بكتاب الله، وتأسيًا بسنة رسول الله ﷺ، فمن شمائله المحمدية: الحمد لله ونسبه النعمة إليه سبحانه في سائر خطبه ومواعظه ﷺ.

والحمد: لغة هو: ضد الذم.

واصطلاحًا: هو إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه.

[بدائع الفوائد"(٢/ ٩٣)، الجامع لتفسير القرآن"للقرطبي" سورة"الفاتحة"].

قوله: (لربي) الرب من أسماء الله سبحانه التي أثبتها لنفسه سبحانه في كتابه، وأثبتها له رسوله ﷺ، والرب في لغة العرب يطلق على معان عِدَّة أَشْهَرُهَا:

١ - السَّيِّدُ الَّذِي لَا شِبْهَ لَهُ.

٢ - وَالْمُصْلِحُ أَمْرَ خَلْقِهِ بِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ.

٣ - الْمَالِكُ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ. [(اهـ) بتصرف من "تفسير ابن جرير"(١/ ١٤٣)].

قوله: « ذي الجلال» :أي صاحب الجلال، وذو الجلال اسم من أسمائه الحسنى، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

قوله: (بِعِدَادِ حَصْبِ الأَرضِ وَالكُثْبَانِ):

الحصب: صغَار الْحِجَارَة. كما في ["المعجم الوسيط" باب الحاء(١/ ١٧٨)].

الكثبان: الرَّمْل قَالَه الفَراءُ، قال تعالى: ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴾ [المزمل:١٤]، [راجع "تاج العروس من جواهر القاموس"(كثب)، (٤/ ١٠٨)].

وهذا الحمد الذي ابتدأ الناظم به منظومته له أصلٌ في الشرع، فقد أخرج مسلم برقم (٢٧٢٦)، في "صحيحه" عَنْ جُوَيْرِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «**مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟**» قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**».

وأخرج مسلم في صحيحه برقم (٤٧٦)، عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا رَفَعَ ظَهْرَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**».

❁ **قال الناظم حفظه الله:**

[٢] يـا رَبِّ دَومـاً أَسْـبِغَنَّ فَضَـائِلاً ... علمـاً مـدى الأَيَـامِ والأَزْمـانِ

❖ **الشرح:**

(**سبغ**) س ب غ: شَيْءٌ (**سَابِغٌ**) أَيْ كَامِلٌ وَافٍ. وَ (**سَبَغَتِ**) النِّعْمَةُ اتَّسَعَتْ وَبَابُهُ دَخَلَ وَ (**أَسْبَغَ**) اللَّهُ عَلَيْهِ النِّعْمَةَ أَتَمَّهَا. وَ (**إِسْبَاغُ**) الْوُضُوءِ إِتْمَامُهُ. "مختار الصحاح" باب السين(١/ ٣٢٦).

قوله: (أَسْبِغَنَّ فَضَائِلاً): أي أتم علينا نعمة العلم، وسبله وما يوصل إليه على مدى (الأيام والأزمان).

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٣] يَـا أَيُّهَـا النِّـبرَاسُ هَـاكَ جَـواهِراً أَغْلَى مِـنَ اليَـاقُوتِ والمَرْجَـانِ

❖ الشرح:

النِّبْرَاسُ: بالكسر المصباح. ["تاج العروس"(١٥/ ٤٤٣)].

(هَاكَ): اسم فعل بمعنى خذ هذه الأبيات.

(اليَاقُوتِ): حجر من الأحجار الكريمة وهو معروف في الجواهر.

[(البسيط باب الياء)(٢/ ١٠٦٥)].

(المَرجَانِ): صغار اللؤلؤ. [راجع "تهذيب اللغة" باب نفرج (١/ ٤٢٧)]

خلاصة البيت: أن الناظم خاطب الطالب وهو المنير للناس طريق الخير أن يأخذ بزمام هذه الآداب التي هي أنفس وأغلى من الياقوت والمرجان، لأنه يترتب عليها دخول الجنة، فقد أخرج أبو داود برقم (٤٨٠٠)، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»**.

[صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" رقم (٢٧٣)].

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٤] فَـاظفَرْ بِهَـا دَوكًا تَضَـوَّعَ رِيحهَـا أَزْجِي إِلِيـكَ قَلائِـداً بِجِسَـانِ

❖ الشرح:

الظفر: الفوز بالمطلوب، كما في القاموس وغيره.

قوله: (دَوكًا): داك الْقَوْم دوكاً بمعنى سحقه وَبَالغ فِي سحقه وطحنه.

["المعجم الوسيط" باب الدال(١/ ٢٠٤)].

تضوّع: انتشرت رائحته، "الاختيارين للأخفش" باب الاختيارين للأخفش.

أُزْجِي: بمعنى سقت، تقول العرب أزجيت الإبل سقتها.

[" لسان العرب"، باب (زجا)، (١٤/ ٣٥٥)].

قوله: (قلائداً) القلادة هي التي توضع في العنق.

["الصحاح في اللغة"، باب قلز(٢/ ٩١)].

خلاصة البيت: أن الناظم حث الطالب على الأخذ بهذه الآداب التي يجعلها الإنسان كالقلادة على رقبته.

التحذير من شوائب الباطن

❁ **قال الناظم حفظه الله:**

[٥] كُنْ حَاذِراً مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ وَ ما يُعْمِي وَيُذْهِبُ رَوْنَقَ الوِجْدَانِ

❖ **الشرح:**

شرع الناظم -عفا الله عنه-: في بيان ما يخل ويخدش بأدب الطالب.

فمن ذلك: تحذير الطالب عن كل ما يشوب، والشائبة واحدة الشوائب وهي الأدناس والأقذار، كما في التعريفات للجرجاني فصل الواو (١/ ٤٤٢).

(رَوْنَقَ): الحسن والنظرة، كما في [الصحاح، باب فضل(٢/ ٢١٤)].

(الوِجْدَانِ): النفس وقواها الباطنية، كما في كتب اللغة.

خلاصة البيت: تحذير الطالب من كل شائبة تُذهب بجماله وحسنه وبهائه.

❁ **قال الناظم حفظه الله:**

[٦] دَاءُ الغُرُورِ كَذا الرِيَاءُ و سُمْعَةٌ حُبُّ الظُهُورِ فَذَا اعْوِجَاجُ جَنَانِ

❖ **الشرح:**

أجمل الناظم ثم بدأ يفصّل ماهي الأمراض التي تخدش نية الطالب وتُذهب بركة طلبه وتحصيله.

فقال: (داء الغرور): الغرور داء عضال، وسمٌّ قتّال وآفة عظيمة، ومؤذنٌ بحلول سخط الله **عَزَّ وَجَلَّ** على عبده، وقد اشتد خطب السلف وعظم خوفهم من الغرور وما يوصل إليه، ولذا أعقبهم الله **عَزَّ وَجَلَّ** ذكراً في الحياة وبعد الممات لبعدهم عنه.

«قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (والذي لا إله غيره لوددت أني انفلقت عن روثة وأني دعيت عبد الله بن روثة وأن الله غفر لي ذنباً). [كما في "شعب الإيمان" للبيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٣/ ١٦٨) بإسناد صحيح].

(والغـرور): هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع. ["التعريفات" فصل السين(١/ ٥٣٧)].

وكم خلَّد التاريخُ ذكر رجالٍ غرتهم أنفسُهم واتبعوا أهواءهم، فكانوا أثراً سيئاً لما بعدهم من الخلوف:

فمن ذلك جبلة بن الأيهم ويزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وغيرهم ممن تسلط عليهم الشيطان وأُصيبوا بداء الغرور.

(الريـاء): داء عضال ومحبط للعمل ومُذهب للأجور ومفسد للعبادة، وهو مشتق من المراءاة بين الناس، كما في "المخصص" لابن سيده.

وفي الاصطلاح: إظهار العمل للناس، ليروه ويظنوا به خيرًا.

[كما في "تاج العروس"(٣٨/ ١٠٥)].

وقد تكاثرت النصوصُ الشرعية واشتدَّ خطبُها في التحذير من الرياء ولو لم يكن من ذلك إلا أنه من صفات المنافقين وعلامة من علاماتهم قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالى**: ﴿**يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء :١٤٢].

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيَّ كما في "الجامع" للخطيب بإسناد صحيح، برقم (٦٩٩):
(مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي).

(**حُبُّ الظُّهُورِ**): وهذه من أمراض النفوس التي تقطع مسار العبد عن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالى** ، وقد ضرب لنا أسلافنا أروع الأمثلة في بغضهم للشهرة وكانوا يكرهون المدح والثناء ويؤثرون الخمول خوفاً على أنفسهم من زيغ القلوب وتغير النيات.

فقد أخرج ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٥/ ٣٠٩): أنه دخل رجل على الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويده تحت خده فقال له: يا ابن أخي أيش هذا الغم لأي شيء هذا الحزن؟ قال فرفع أحمد رأسه وقال: يا عم طوبى لمن أخمل الله **عَزَّ وَجَلَّ** ذكره.

وقال الإمام الذهبي كما في "السير" (٤/ ١٩٠): «لاَ أَفْلَحَ -وَاللهِ- مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ، أَوْ أَعْجَبَتْهُ».

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما** في "المجموع شرح المهذب" (فصل في تلخيص جملة من حال الشافعي) (١/ ١٢): (وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس أؤجر عليه ولا يحمدوني).

وقال الذهبي في كما في "السير" (٤/ ٤٩٤):

(يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنَّ يَتَكَلَّمَ بِنِيَّةٍ وَحُسْنِ قَصْدٍ، فَإِنْ أَعْجَبَهُ كَلاَمُهُ، فَلْيَصْمُتْ، فَإِنْ أَعْجَبَهُ الصَّمْتُ، فَلْيَنْطِقْ، وَلاَ يَفْتُرْ عَنْ مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ، فَإِنَّهَا تُحِبُّ الظُّهُوْرَ وَالثَّنَاءَ).

وقال الحافظ ابن رجب كما في "لطائف المعارف" (١١٨): (إنما أهلك إبليس العجب بنفسه ولذلك قال: ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ**﴾ [الأعراف:١٢]، وإنما كملت فضائل آدم باعترافه على نفسه: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا**﴾ [الأعراف: ٢٣]».

وكان الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: **(حبُّ الظهورِ قاصمٌ للظهورِ)**، كما في ["السلسة الصحيحة"(٣١٨١)].

وأما من لم يتطلَّع إلى الشهرة وأراد الله **عَزَّ وَجَلَّ** أن يظهره لما علم من صدق سريرته فإنَّ ذلك من جميلِ سترِ اللهِ **عَزَّ وَجَلَّ** عليه.

قال الشوكاني كما في "أدب الطلب" (١/ ٤٢) باب النشوء فِي بلد متمذهب بِمذهب معين:

(وَلَقَد تتبعت أَحْوَال كثير من القائمين بِالْحَقِّ المبلغين بِهِ كَمَا أَمر الله **عَزَّ وَجَلَّ** المرشدين إِلَى الْحق فوجدتهم ينالون من حسن الأحدوثة وَبعد الصيت وَقُوَّة الشُّهْرَة وانتشار الْعلم ونفاق المؤلفات وطيرانها وقبولها فِي النَّاس مَا لَا يبلغهُ غَيرهم وَلَا يَنَالهُ من سواهُم).اهـ

قلت: وهذا يدل على ثمرة الاخلاص، فإنه يبلغ بصاحبه مبلغا عظيما.

ومن هؤلاء الأعلام الذين انتشرت مؤلفاتهم: الإمام مالك بن أنس، أحمد بن حنبل، والإمام البخاري وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم كثير رحم الله الجميع.

وخلاصة البيت: حَذَرُ الطالبِ من آفات التلقي من الغرور والرياء، والسمعة، وحب الظهور، واعوجاج القلب.

(الجَنَان): القلب.

❁ **قال الناظم حفظه الله:**

[٧] طلـبُ لعلـمٍ لاكْتِسـابِ مَعِيشـةٍ قَـدْ حَـذَّرَ المَنَّـانُ مِـن ذَا الـرَانِ

❖ **الشرح:**

هذه من الآداب التي يحتاجها الطالب ويوليها اهتمامه، وهي أن يحذر الطالب من اتخاذ العلم وسيلة من وسائل جمع المال، فقد حذر السلف غاية التحذير من اتخاذ العلم وسيلة لجمع المال، فهذه إرادة تحطم قوته، وتطفئ نوره.

قال ابن جماعة كما في "تذكرة السامع" (١١٦): ولا يقصد به الأغراض الدنيوية من تحصيل الرياسة والجاه والمال، ومباهاة الأقران، وتعظيم الناس له، وتصديره في المجالس ونحو ذلك. اهـ

وقال الخطيب البغدادي كما في الجامع (١/ ٨١): يَجِبُ عَلَى طَالِبِ الْحَدِيثِ أَنْ يُخْلِصَ نِيَّتَهُ فِي طَلَبِهِ، وَيَكُونَ قَصْدُهُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ سُبْحَانَهُ.. وَلْيَحْذَرْ أَنْ يَجْعَلَهُ سَبِيلًا إِلَى نَيْلِ الْأَعْرَاضِ، وَطَرِيقًا إِلَى أَخْذِ الْأَعْوَاضِ، فَقَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ لِمَنِ ابْتَغَى ذَلِكَ بِعِلْمِهِ.

قال بشر بن الحارث: (وَقَدْ رَأَيْتُ مشايخَ طَلَبُوا الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا فَافْتُضِحُوا وَآخَرِينَ طَلَبُوهُ فَوَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ وَعَمِلُوا بِهِ وَقَامُوا بِهِ ، فَأُولَئِكَ سَلِمُوا فَنَفَعَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى). ["حلية الأولياء" (٨/ ٣٤٩)]».

قال ابن الجوزي كما في "التذكرة في الوعظ" (١٤٧): (وَمن عجز عَن أدب نَفسه كَانَ عَن أدب غَيره أعجز من قلَّة الصدْق كَثْرَة الْخَطَأ وَمن عَلامَة الاستدراج الْحمى عَن عُيُوب النَّفس وَمن تزين للنَّاس بِمَا لَيْسَ فِيهِ سقط من عين الله قُلُوب المغترين معلقَة بالسوابق وَقُلُوب الْأَبْرَار معلقَة بالخواتيم من النذالة أَن يَأْكُل الْإِنْسَان بِدِينِه». اهـ

فالدنيا إذا هجمت على الطالب تذهب بركة طلبه، وتفسد عليه نيته، ومن توفيق الله عَزَّ وَجَلَّ للعبد أن يحميه من هذه الجيفة، فإنّ الهلكى فيها كثير، وقد تكاثرت النصوص في التحذير من الاغترار بالدنيا، منها:

ما أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢٠٣٦)، عن قتادة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**إذا أحب الله عَزَّ وَجَلَّ عبدا حماه الدُّنْيَا كَمَا يظل أحدكُم يحمي سقيمه المَاء**»، قال الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب": صحيح لغيره، برقم (٣١٨٠).

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "معيد النعم ومبيد النقم" (١/ ٥٧):

(إني أرحم ثلاثة: عزيز قوم ذلّ، وغنيا افتقر، وعالما تلعب به الدنيا).

وقال الإمام الذهبي كما في "السير" (٧/ ٣٨٦): (قَالَ أَحْمَدُ بنُ جَمِيْلٍ المَرْوَزِيُّ: قِيْلَ لابْنِ المُبَارَكِ: إِنَّ إِسْمَاعِيْلَ بنَ عُلَيَّةَ قَدْ وَلِي القَضَاءَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

يَـا جَاعِـلَ العِلْـمِ لَـهُ بَازِيـاً ... يَصْطَـادُ أَمْـوَالَ المَسَاكِيـْنِ

احْتَلْـتَ لِلدُّنْيَـا وَلَذَّاتِهَـا ... بِحِيْلَـةٍ تَـذْهَبُ بِالدِّيْـنِ

فِصِـرتَ مَجْنُوْنـاً بِهَـا بَعْـدَ مَـا ... كُنْـتَ دَوَاءً لِلمَجَانِيْـنِ

أَيْـنَ رِوَايَاتُـكَ فِي سَرْدِهَـا ... عَـنِ ابْـنِ عَـوْنٍ وَابْـنِ سِيْرِيْـنِ

أَيْـنَ رِوَايَاتُـكَ فِـيْمَا مَـضَى ... فِي تَـرْكِ أَبْـوَابِ السَّلاَطِيْـنِ

إِنْ قُلْـتَ: أُكْرِهْـتُ، فَـمَاذَا كَـذَا ... زَلَّ حِمَـارُ العِلْـمِ فِي الطِّيْـنِ

الحث على التمسك بالسنة ولزوم العفة

قال الناظم حفظه الله:

[٨] فَاظْفَرْ بسُنَّة أَحْمَدٍ و اعْمَلْ بِها حَتَى تَفوزَ بِسِلْعَةِ الرَحْمَنِ

❖ الشرح:

أشار الناظم – عفا الله عنه – إلى أنّ زمام الخيرية كلها ومادة النجاة الأخذ بسنة أبي القاسم ﷺ، ورتب الله عَزَّ وَجَلَّ على طاعة رسوله الظفر بدار المقامة ونيل سلعته الغالية.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

قال الناظم حفظه الله:

[٩] أَكْرِمْ بِهِ نوراً مُضِيئاً سَاطِعاً أنعِم بِه مِن مُرشِدٍ بِبَيَانِ

❖ الشرح:

أشار الناظم –عفا الله عنه–، إلى فضيلة بعثة النبي ﷺ وتعظيم سنته والعض عليها ولزومها وأنه أنار ببعثته الأرض ولبست الدنيا ثوب الأنس والسرور وكُسيت بتاج التوحيد والسنة.

قال الناظم حفظه الله:

[١٠] لاَزِمْ عَفَافَ النَفْسِ وَاكْتَسِ بالغِنَى وَانْأَى بِنَفْسِكَ عَنْ ذَوي الأَدْرَانِ

❖ الشرح:

التحلي بالعفاف من أهم خصال طالب العلم، فيكون الطالب عفيفًا عما في أيدي الناس غير سائل ولا متشرف.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في** "مجموع الفتاوى"(١/ ٣٩): (فَأَعْظَمُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ قَدْرًا وَحُرْمَةً عِنْدَ الْخَلْقِ: إذَا لَمْ يَحْتَجْ إلَيْهِمْ بِوَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ إلَيْهِمْ مَعَ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ: كُنْتَ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ عِنْدَهُمْ، وَمَتَى احْتَجْتَ إلَيْهِمْ وَلَوْ فِي شَرْبَةِ مَاءٍ نَقَصَ قَدْرُكَ عِنْدَهُمْ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إلَيْهِمْ).

قلت: والتحلي بالغنى والعفة عين السلامة، وباب النجاة.

قال ابن الجوزي في "صيد الخاطر"(٤٩٤)، فصل (فضل القناعة): (لا عيش في الدنيا إلا للقنوع باليسير؛ فإنه كلما زاد الحرص على فضول العيش، زاد الهم، وتشتت القلب، واستعبد العبد.

وأما القنوع، فلا يحتاج إلى مخالطة من فوقه، ولا يبالي بمن هو مثله؛ إذ عنده ما عنده.

وإن أقوامًا لم يقنعوا، وطلبوا لذيذ العيش، فأزروا بدينهم، وذلوا لغيرهم، وخصوصًا أرباب العلم؛ فإنهم ترددوا إلى الأمراء فاستعبدوهم، ورأوا المنكرات، فلم يقدروا على إنكارها، وربما مدحوا الظالم اتقاء لشره؛ فالذي نالهم من الذل وقلة الدين أضعاف ما نالوا من الدنيا).

قوله: (وَانْأَى بِنَفْسِكَ): أي جنِّب نفسك من به درن.

والدرن في اللغة: الوسخ كما في الصحاح. [مادة دسر (١/ ٢٠٤)].

قال الناظم حفظه الله:

[٨٦] أعْنِي بِهِ دَرَنَ التَّسَوُّلِ إِنَّهُ يُفْنِي إِذَا مَا قَارَفَتْهُ يَدَانِ

❖ الشرح:

وهذا من الداء العضال والسم القتّال الذي يفسد على الطالب بركة علمه، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام:٩٠]، وهذه الخصلة إذا

حلت في فؤاد الطالب تُذهب رونقه وجماله فإن الاستشراف مما حذرت منه الشريعة.

وكذا المسألة: فقد أخرج أحمد في "مسنده"، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِمَارًا وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، وَقَالَ: **يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟** قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **تَعَفَّفْ**). [الحديث صححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم (٢٦٩)].

والعفة عن سؤال الناس من أعظم مقوِّمات الدعوة وركائزها.

لزوم السكينة الوقار في سائر الأحوال

❁ **قال الناظم حفظه الله:**

[١٢] حَسِّنْ جَمَالَكَ بِالسَّكِينَة وَالتُّقَى إِنَّ التَّقِيَّ يَفُوزُ بِالغُفْرَانِ

❖ **الشرح:**

السكينة للطالب من السلوك الحميدة والسجية المرضية، وقد تكاثرت الأدلة العامة على ملازمتها والأخذ بها.

أخرج الإمام البخاري برقم (٩٠٨)، ومسلم (٦٠٢)، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَلاَ تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ، عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**».

وأخرج البخاري برقم (١٦٧١) عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ**».

أخرج الإمام أحمد في "الزهد" برقم (٦٣٠)، ووكيع في "الزهد" برقم: (٢٧٥)، بأسانيد ترتقي إلى الحسن لغيره، عن عُمَرَ أنه قال:

«تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ، وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ، وَلَا يَقُمْ عِلْمُكُمْ مَعَ جَهْلِكُمْ».

وتقوى الله عَزَّ وَجَلَّ خير زاد للعبد وأعظم لباس ومهبط الفضائل، ومتنزل المحامد ومبعث القوة ومِعْراج السمو، والرابط الوثيق على القلوب من الفتن، وهل تحصيل العلم إلا من أجل تحقيق تقواه ونيل رضاه.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

قَالَ الإمام مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "المدخل للبيهقي" رقم (٥١٠) -بسند صحيح-: «إِنَّ حَقًّا عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ، وَسَكِينَةٌ، وَخَشْيَةٌ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِأَثَرِ مَنْ مَضَى قَبْلَهُ».

❁ قال الناظم حفظه الله:

[١٣] وَأَبَانَ ذَلِكَ رَبُّنَا فِي ذِكْرِهِ ... فِي سُورَةِ الأَنْفَالِ يَا إِخْوَانِ

❖ الشرح:

قوله في ذكره: إشارة إلى قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فمن أوصاف القرآن الذكر.

وقوله: (فِي سُورَةِ الأَنْفَالِ): إشارة إلى قوله: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وجوب تحري الحق ومراقبة الله في السر والعلن

قال الناظم حفظه الله:

[١٤] كُنْ طَالِباً للحقِّ مُرْتَضِياً بِهِ وَاحْذَرْ وَحاذِرْ مِنْ ذَوي المَيَلانِ

❖ الشرح:

الحق سجِّية الصالحين وسرُّ النجاة وقطبها وقد فطر الله عَزَّ وَجَلَّ السماوات والأرض بالحق ومن أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى الحق.

فينبغي على الطالب إذا هفا أو تعثرت به دابته وزلت به قدمه، أن يجعل الحق له ملاذاً.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "الصواعق المرسلة" (٢/ ٥١٦): (فمن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع من كان ولو كان مع من يبغضه ويعاديه ورد الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبه ويواليه فهو ممن هدى لما اختلف فيه من الحق).

قال العلامة المعلمي كما في "التنكيل" (١٠/ ٥٤٧): (الموفق حقاً ومن وفق لمعرفة الحق وأتباعه ومحبته، والمحروم من حرم ذلك كله، فما بالك بمن وقع في التنفير من الحق وعيب أهله؟!).

(والميل): والميل في اللغة هو الحيف عن الحق كما في كتب المعاجم.

قال عبد الله أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "الدرر السنية" (١٠/ ٤٠١): (والإنسان إذا تبين له الحق، لم يستوحش من قلة الموافقين، وكثرة المخالفين، لا سيما في آخر هذا الزمان.

وقول الجاهل: لو كان هذا حقا ما خفي على فلان وفلان، هذه دعوى الكفار، في قولهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف:١١]، ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [الأنعام:٥٣]؛ وقد قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اعرف الحق تعرف أهله).

وأما الذي في حيرة ولبس، فكل شهبة تروج عليه؛ فلو كان أكثر الناس اليوم على الحق، لم يكن الإسلام غريبا، وهو والله اليوم في غاية الغربة.

قلت: أثر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه الدينوري في المجالسة برقم (١٧٨٠)، وفيه سلام المدائني، متروك.

وجاء عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال كما في "الحلية"، برقم (٩/ ١١٩)، بإسناد صحيح: (أَعْرِفُ الْحَقَّ لِذِي الْحَقِّ إِذَا أَحَقَّ اللَّهُ الْحَقَّ).

❁ **قال الناظم حفظه الله:**

[١٥] وَارْقُبْهُ دَوْماً خَاضِعاً مُتَوالِياً وَكَذَا ادْعُوَنْ بِالسِرِ وَالإِعْلَانِ

❖ **الشرح:**

التحلي بدوام المراقبة من ثمرات الخشية، ودوم المراقبة نجاة للعبد بين يدي ربه، ولا علم لمن لا خشية له.

قال أبو شجاع الكرماني كما في "إغاثة اللهفان"(١/ ٤٨):

(مَن عَمَّر ظَاهِرَه باتباعِ السُنَّة، وبَاطِنهُ بدَوامِ المرَاقبةِ، وكفَّ نفْسَهُ عَنْ الشَّهَوات، وغضَّ بصرهُ عَن المحارمِ، واعتادَ أكلَ الحلالِ لم تخطئ لَه فَراسة).

وقَالَ مَسْرُوق: (كَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا أَنْ يَخْشَى اللهَ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يَعْجَبَ بِعَمَلِهِ)، ["الحلية" (٢/ ٩٥)].

وملازمة الدعاء دأب الأنبياء وسلاح المتقين ومن تأمل أدلة القرآن فإنها مليئة بلجوء الأنبياء وهم خيرة أهل الأرض إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

وفي الحديث قال ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»، أخرجه أبو داود: (١٣٢٩)، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وصححه الألباني في "صحيح أبي داود"، والعلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم (١١٥٩).**

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "الداء والدواء" (٩):

«وَكَذَلِكَ الدُّعَاءُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي دَفْعِ الْمَكْرُوهِ، وَحُصُولِ الْمَطْلُوبِ، وَلَكِنْ قَدْ يَتَخَلَّفُ أَثَرُهُ عَنْهُ، إِمَّا لِضَعْفِهِ فِي نَفْسِهِ - بِأَنْ يَكُونَ دُعَاءً لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْعُدْوَانِ - وَإِمَّا لِضَعْفِ الْقَلْبِ وَعَدَمِ إِقْبَالِهِ عَلَى اللَّهِ وَجَمْعِيَّتِهِ عَلَيْهِ وَقْتَ الدُّعَاءِ، فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْقَوْسِ الرِّخْوِ جِدًّا، فَإِنَّ السَّهْمَ يَخْرُجُ مِنْهُ خُرُوجًا ضَعِيفًا، وَإِمَّا لِحُصُولِ الْمَانِعِ مِنَ الْإِجَابَةِ: مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَالظُّلْمِ، وَرَيْنِ الذُّنُوبِ عَلَى الْقُلُوبِ، وَاسْتِيلَاءِ الْغَفْلَةِ وَالشَّهْوَةِ وَاللَّهْوِ، وَغَلَبَتِهَا عَلَيْهَا». اهـ

قال الحافظ ابن حجر كما في "فتح الباري" (١١/ ١٤٠):

وَقد قَالَ بن عُيَيْنَةَ: لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدًا الدُّعَاءَ مَا يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ يَعْنِي مِنَ التَّقْصِيرِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَجَابَ دُعَاءَ شَرِّ خَلْقِهِ وَهُوَ إِبْلِيسُ حِينَ: ﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [الحجر:٣٦].

الحث على التواضع للمؤمنين

❁ قال الناظم حفظه الله:

[١٦] وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ وَانْبُذَنَّ الكِبْرِيَا وَاعْمَلْ لِذَاكَ مُصَاحِبَ اليَقْظَانِ

❖ الشرح:

خفض الجناح من صفات المؤمنين، لاسيما من كان حاملا للعلم منهم، فينبغي التحلي به.

وقد أمر الله عَزَّ وَجَلَّ به في كتابه فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

ومن أعظم سمات التواضع خفض الجناح، أن يتواضع الشخص للعلم، والاّ يأنف في تلقيه العلم عمن دونه.

قَالَ أَبُو حازم: (لا يَكُونُ العَالِمُ عَالِماً حَتَى يَكُونَ فِيهِ ثَلاثُ خِصَالٍ:

لا يَحْقِرْ مَنْ دُونَهُ فِي العِلْمِ.

وَلَا يَحْسَدْ مَن فَوْقَهُ.

وَلَا يَأْخُذْ عَلَى عِلْمِه دُنْيا). [طبقات الحنابلة: (٢/ ١٤٨)].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما [في "المجموع" (١/ ٦٦) ـ ط: إحياء التراث]، وهو يبين آداب الطلب: (وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِلْعِلْمِ وَالْمُعَلِّمِ فَبِتَوَاضُعِهِ يَنَالُهُ: وَقَدْ أُمِرْنَا بِالتَّوَاضُعِ مُطْلَقًا فَهُنَا أَوْلَى).

لزوم الصبر والعفة والزهد في سائر الأحوال

❁ قال الناظم حفظه الله:

[١٧] وَاصْبِرْ أَخَيَّ عَلَى البَلَاءِ بِأَسْرِهِ إِنَّ الصَّبُورَ لَظَافِرٌ بِجِنَانِ

❖الشرح:

أشار الناظم -عفا الله عنه- في هذا البيت إلى أن الطالب في حال سيره إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لابد من العوائق التي تُعيقه في سيره إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ، ومن تأمل في تاريخ الصحابة الذين هم مدرسة للأجيال وعنوان للرقي والسؤدد يجد أنهم ابلوا بلاء حسناً في نصرة الدين والدفاع عن حياض السنّة وقبل ذلك الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلام.

قال الإمام الشوكاني كما في "أدب الطلب" صـ (٣٦):

كَذَلِك الإِمَام أَحْمد بن حَنْبَل، فَإِنَّهُ وَقع لَهُ من المحن الَّتِي هِيَ منح مِمَّا لَا يخفى على من لَهُ اطلَاع، وَضرب بَين يَدي **المعتصم العباسي** ضربًا مبرحًا، وهموا بقتْله مرّة بعد مرّة، وسجنوه فِي الْأَمْكِنَة الْمظْلمَة، وكبلوه بالحديد، ونوّعوا لَهُ أَنْوَاع الْعَذَاب، فنشر الله من علومه مَا لَا يحْتَاج إِلَى بَيَان، وَلَا يفْتَقر إِلَى إِيضَاح، وَكَانَت الْعَاقِبَة لَهُ، فَصَارَ بعد ذَلِك إِمَام الدُّنْيَا غير مدافع، ومرجع أهل الْعلم غير مُنَازع، وَدون النَّاس كَلِمَاته، وانتفعوا بهَا، وَكَانَ يتَكَلَّم بِالْكَلِمَةِ فتطير فِي الْآفَاق، فَإِذا تكلم بِالْكَلِمَةِ فِي رجل بِجرح تبعه النَّاس وَبَطل علم الْمَجْرُوح، وَإِن تكلم فِي رجل بتعديل كَانَ هُوَ الْعدْل الَّذِي لَا يحْتَاج بعد تعديله إِلَى غَيره.

ثمَّ الإِمَام مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل البُخَارِيّ: أَصَابَهُ من مُحَمَّد بن يحيى الذهلي وَأَتْبَاعه من المحنة، مَا مَاتَ بِهِ كمدا، ثمَّ جعل الله تَعَالَى كِتَابه "**الْجَامِع الصَّحِيح**" كَمَا ترى، أصح كتاب فِي الدُّنْيَا، وَأشهر مؤلف فِي الحَدِيث، وَأجل دفتر من دفاتر الْإِسْلَام.

ثمَّ انْظُر أَحْوَال من جَاءَ بعد هَؤُلَاءِ بدهر طَوِيل، كَابْن حزم المغربي، فَإِنَّهُ أُصِيب بمحن عَظِيمَة بِسَبَب مَا أظهره من إرشاد النَّاس إِلَى الدَّلِيل والصدع بِالْحَقِّ، وتضعيف علم الرَّأْي حَتَّى أفْضى ذَلِك إِلَى امتحان الْمُلُوك لَهُ، وإيقاعهم بِهِ وتشريده من مواطنه، وتحريق مصنفاته وَمَعَ ذَلِك نشر الله من علومه، مَا صَار عِنْد كل فرقة وَفِي كل بِلَاد الْمُسلمين وَبَين ظهراني كل طَائِفَة.

ثمَّ كَذَلِك شيخ الْإِسْلَام تَقِيّ الدّين بن تَيْمِية أَحْمد بن عبد الْحَلِيم، فَإِنَّهُ لما أبان للنَّاس فَسَاد الرَّأْي، وأرشدهم إِلَى التَّمَسُّك بِالدَّلِيلِ، وصدع بِمَا أمره الله بِهِ وَلم يخف فِي الله لومة لائم، قَامَ عَلَيْهِ طوائف من المنتمين إِلَى الْعلم المنتحلين لَهُ من أهل المناصب وَغَيرهم، فمازالوا يحاولون ويصاولون ويسعون بِهِ إِلَى الْمُلُوك، ويعقدون لَهُ مجَالِس المناظرة، ويفتون تَارَة بسفك دَمه، وَتارَة باعتقاله، فنشر الله من فَوَائده مَا لم ينشر بعضه لأحد من معاصريه، وترجمه أعداؤه فضلاً عَن أصدقائه بتراجم لم يَتَيَسَّر لَهُم مثلهَا، وَلَا مَا يقارنها لأحد من الَّذين يتعصبون لَهُم، ويدأبون فِي نشر فضائلهم. اهـ

وإليك نموذجين يا طالب العلم، ما قاساه العلماء في تحصيل العلم، والصبر على شدائده:

قال الإمام الذهبي كما في "تاريخ الإسلام" (٢٢١/٢٣):

قال أحمد بن منصور الشيرازيّ الحافظ: سمعتُ محمد بن أحمد الصّحّاف السجستانيّ: سمعت أبا العبّاس البكريّ يقول: جمعت الرحلة بين محمد بن جرير، وابن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزيّ، ومحمد بن هارون الروياني بمصر، فأرملوا ولم يبقَ عندهم ما يقوتهم، وأضر بهم الجوع، فاجتمعوا في منزلٍ كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يسهموا، فمن خرجت عليه القرعة سأل. فخرجت القرعة على ابن خزيمة فقال: أمهلوني حتّى أصلي. فاندفع في الصلاة، وإذا هم بالشموع، وخصيّ، من قبل والي مصر يدّق الباب، ففتحوا فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو ذا. فأخرج صرة فيها خمسون دينارًا، فدفعها إليه.

ثمّ قال: أيكم ابن جرير؟ فاعطاه خمسين دينارًا، ثم فعل كذلك بابن خزيمة وبالروياني. ثمّ حدثهم فقال: إنّ الأمير كان قائلًا بالأمس، فرأى في المنام أن المحامد جياع قد طووا، فانفذ إليكم هذه الصرر، وأقسم عليكم إذا نفذت فعرفوني.

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم كما في سير أعلام النبلاء (٣٦٦/١٣):

كُنَّا بِمِصْرَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، لَمْ نَأْكُلْ فِيْهَا مَرَقَةً، كُلُّ نَهَارِنَا مُقَسَّمٌ لِمَجَالِسِ الشُّيُوْخِ، وَبَاللَّيْلِ: النَّسْخُ وَالْمُقَابَلَةُ.

قَالَ: فَأَتَيْنَا يَوْماً أَنَا وَرَفِيْقٌ لِي شَيْخاً، فَقَالُوا: هُوَ عَلِيْلٌ، فَرَأَينَا فِي طَرِيْقِنَا سَمَكَةً أَعْجَبَتْنَا، فَاشتَرَينَاهُ، فَلَمَّا صِرنَا إِلَى البَيْتِ، حَضَرَ وَقْتُ مَجْلِسٍ، فَلَمْ يمكنَا إِصْلاَحه،

وَمَضَينَا إِلَى المَجْلِسِ، فَلَمْ نَزَلْ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، وَكَادَ أَنْ يَتَغَيَّرَ، فَأَكَلْنَاهُ نِيْئاً، لَمْ يَكُنْ لَنَا فَرَاغٌ أَنْ نُعْطِيَهُ مَنْ يَشْوِيه.

ثُمَّ قَالَ: لاَ يُسْتَطَاعُ العِلْمُ بِرَاحَةِ الجَسَدِ.

قوله: (إِنَّ الصَبُورَ لظَافِرٌ بِجِنَانِ): إشارة إلى أن الصبر مما ينال المسلم به سلعة الله الغالية ألا وهي الجنّة.

قال الناظم حفظه الله:

[١٨] لاَ زَالَ ذَاكَ مُـــدَوَّناً في نُـــورِهِ وَمُوَضّــحاً في سُــورَةِ الإِنْسَــانِ

❖ الشرح:

إشارة إلى أن الجنّة منوطة بالصبر على الشدائد.

وهذا مبين في نوره وهو كتابه قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالى**: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

وقوله: (وَمُوَضَّحاً فِي سُورَةِ الإِنْسَانِ): إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٢].

قال الناظم حفظه الله:

[١٩] فَـاظْفَرْ بِهَـا مِـنَ سُـورَةِ وَضَّـاحَةٍ قَـدْ بَـيَّـنَت مَـا عُـدَّ فِي الرَيَّـانِ

❖ الشرح:

الظفر: الحصول على المطلوب بشدة. كما في "القاموس".

(وَضَّاحَة): أي بينت لنا وجلت لنا ما في الجنّة من النعيم المقيم.

قوله: (قَدْ بَيَّنَت مَا عُدَّ فِي الرَيَّانِ): تعبير بالجزء عن الكل.

قال الناظم حفظه الله:

[٢٠] لاَزِمْ عَفَافَ النَفْسِ عَنْ شَهَوَاتِهَا حَتَى تَفُوزَ بِسِلْعَةِ الرَحْمَنِ

❖ الشرح:

أمر الناظم في هذا البيت بملازمة العفاف، فإنّ العفة صيانة للعلم وأصلُ كل فضيلة.

فقد جاء في الشرع الحنيف بذم من يسأل الناس أموالهم، وهذا في عموم الخلق، فكيف بخواصهم ممن يحمل العلم فلا شك أن هذا مما يزري به.

أخرج البخاري برقم: (١٤٤٧)، ومسلم برقم: (١٠٤٠)، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**».

وفي البخاري برقم: (١٤٩٦)، ومسلم برقم: (١٠٥٣): عَنْ **أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**».

وأخرج أبو داود: (١٦٤٣) عَنْ **ثَوْبَانَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ يَكْفُلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ**». [الحديث صححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم (١٨٨)].

قَالَ اللَّيْثُ بنُ سَعْدٍ، وَغَيْرُهُ ـ كما في "السير" للذهبي (٣/ ٢٢٢)، ط الرسالة ـ : (كَتبَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ أَنِ اكتُبْ إِليَّ بِالعِلمِ كُلِّهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ العِلمَ كَثِيْرٌ، وَلَكِنْ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلقَى اللهَ خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ دِمَاءِ النَّاسِ، خَمِيْصَ البَطنِ مِنْ أَمْوَالِهِم، كَافَّ اللِّسَانِ عَنْ أَعْرَاضِهِم، لاَزماً لأَمرِ جَمَاعَتِهِم، فَافعَلْ).

❁ **قال الناظم حفظه الله:**

[٢١] مِصْـــدَاقُ ذَلِـــكَ مَـــا رَوَاهُ أَئِمَـــةٌ ... فِي كُتْـــبِهِمْ وَرَوَوْهُ عَـــنْ ثَوْبَـــانِ

❖ **الشرح:**

أشار الناظم -عفا الله عنه- أن العفة عن سؤال الناس من أعظم أسباب دخول الجنّة، **أخرج النسائي برقم: (٢٥٩٠)**، عَنْ **ثَوْبَانَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا فَأَتَكَفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟»** فَقَالَ ثَوْبَانُ: أَنَا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا. [الحديث "النسائي"(٢٥٩٠)، و"أحمد" برقم: (٢٢٣٦٢)، والحاكم في "المستدرك" برقم (١٥٠٠)].

❁ **قال الناظم حفظه الله:**

[٢٢] لا تَسْـــأَلَنّ بُـــنَيَّ آدمَ حَاجَـــةً ... فـــإِذَا فَعَلْـــتَ تَفُـــزْ بِخَـــيرِ جِنَـــانِ

❖ **الشرح:**

مفاد البيت وموادّه في البيت الذي قبله، أنّ الأنسان لا يسأل بني آدم حاجة أو يستشرف لهم إنما يسأل العبد ربه سبحانه فهو الذي يفيض على عبده من خزائنه، فإذا فعل الإنسان ذلك فإنه يحظى بما أخبر به رسول الله ﷺ في حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الآنف الذكر.

قال الناظم حفظه الله:

[٢٣] وَازْهَدْ بِدُنْيا وَاطْلُبَنَّ لِجَنَّةٍ تَنْجُو بِنَفْسِكَ مِنْ لَظَى النِيرَانِ

❖ الشرح:

هذا هو شأن حامل العلم لا يلتفت للدنيا وزخارفها ويكون زاهداً فيها .

وحقيقة الزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة.

والورع: ترك ما يخشى ضرره في الآخرة، وهو الذي أشار إليه ابن القيم في كتابه ["الفوائد" (١١٨)].

قال ابن جماعة كما في "تذكرة السامع" (الفصل الأول في آدابه في نفسه، وهي اثنا عشر نوعا):

...**الثالث**: أن يتخلق بالزهد في الدنيا والتقلل منها بقدر الإمكان الذي لا يضر بنفسه أو بعياله فإن ما يحتاج إليه لذلك على الوجه المعتدل من القناعة ليس يُعَدُّ من الدنيا وأقل درجات العالم أن يستقذر التعلق بالدنيا لأنه أعلم الناس بخستها وفتنتها وسرعة زوالها وكثرة تعبها ونَصَبِهَا فهو أحق بعدم الالتفات إليها والاشتغال بهمومها.

وتأمل أيها القارئ الكريم إلى ما كان عليه سلفنا الصالح رحمة الله عليهم، من عزوفهم عن الدنيا وفرارهم منها.

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "السير" (١٢/١٣٦):

(أَخْبَرَنَا الكِنْدِيُّ، أَخْبَرَنَا القَزَّازُ، أَخْبَرَنَا الخَطِيْبُ، أَخْبَرَنَا الحَسَنُ بنُ عُثْمَانَ الوَاعِظُ، أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ الحَكَمِ الوَاسِطِيُّ، سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بنَ أَبِي دَاوُدَ يَقُوْلُ:

كَانَ المُسْتَعِيْنُ بِاللهِ بَعَثَ إِلَى نَصْرِ بنِ عَلِيٍّ يُشْخِصُهُ لِلْقَضَاءِ، فَدَعَاهُ عَبْدُ المَلِكِ أَمِيْرُ البَصْرَةِ، وَأَمَرَهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: أَرْجِعُ، وأَسْتَخِيْرُ اللهَ -تَعَالَى-.

فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ نِصْفَ النَّهَارِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ لِي عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَاقبِضْنِي.

فَنَامَ، فَأَنبَهُوهُ، فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ).

قال الذهبي في "السير" (٨/ ٤٢٩)، في موعظة الفضيل بن عياض لما وعظ هارون الرشيد:

قَالَ لَهُ: خُذْ لِمَا جِئنَاكَ لَهُ - رَحِمَكَ اللهُ -:

فَقَالَ: إِنَّ عُمَرَ بنَ عَبْدِ العَزِيْزِ لَمَّا وَلِيَ الخِلاَفَةَ، دَعَا سَالِمَ بنَ عَبْدِ اللهِ، وَمُحَمَّدَ بنَ كَعْبٍ، وَرَجَاءَ بنَ حَيْوَةَ، فَقَالَ لَهُم: إِنِّيْ قَدِ ابْتُلِيتُ بِهَذَا البَلاَءِ، فَأَشِيْرُوا عَلَيَّ.

فَعَدَّ الخِلاَفَةَ بَلاَءً، وَعَدَدْتَهَا أَنْتَ وَأَصْحَابَك نِعمَةً.

فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ فَصُمِ الدُّنْيَا، وَلْيَكُنْ إِفْطَارُكَ مِنْهَا المَوْتَ.

وَقَالَ لَهُ ابْنُ كَعْبٍ: إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَلْيَكُنْ كَبِيْرُ المُسْلِمِيْنَ عِنْدَك أَباً، وَأَوْسَطُهُم أَخاً، وَأَصْغَرُهُم وَلداً، فَوَقِّرْ أَبَاكَ، وَأَكْرِمْ أَخَاكَ، وَتَحَنَّنْ عَلَى وَلَدِكَ.

وَقَالَ لَهُ رَجَاءٌ: إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَأَحِبَّ لِلْمُسْلِمِيْنَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُم مَا تكرَهُ لِنَفْسِكَ، ثُمَّ مُتْ إِذَا شِئْتَ، وَإِنِّيْ أَقُوْلُ لَكَ هَذَا، وَإِنِّيْ أَخَافُ عَلَيْكَ أَشَدَّ الخَوْفِ يَوْماً تَزِلُّ فِيْهِ الأَقْدَامُ، فَهَلْ مَعَكَ - رَحِمَكَ اللهُ - مَن يُشِيْرُ عَلَيْكَ بِمِثْلِ هَذَا؟

فَبَكَى بُكَاءً شَدِيْداً، حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ.

لزوم الثبات والتحلي بالرفق

قال الناظم حفظه الله:

[٢٤] لَازِمْ ثَبَاتًا فِي سُوَيْعَاتِ الوَغَى ... إِنَّ الدَلِيلَ مُثَبِّتٌ لِجَنَانِ

❖ الشرح:

أمر الناظم -عفا الله عنه- في هذا البيت بملازمة الثبات أمام الشدائد والعوائق التي تعوق طالب العلم عن مواصلته في السير إلى ربه سبحانه.

والثبات من أبلغ السجايا وأطيب الخصال، فحري بطالب العلم أن يسأل ربه الثبات، فإذا ثبت المسلم على دينه حتى يلقى ربه فقد حاز خيرا عظيما.

وقد كان قدوة الثابتين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يسأل ربه الثبات، قال الله تعالى ممتنا على نبيه ﷺ: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤].

وأخرج الإمام أحمد (١٦٧٨٠) عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ﷺ: «**إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ**». [الحديث صححه الألباني برقم (٣٢٢٨)، في "السلسلة الصحيحة"].

وضرب أسلافنا أمثلةً عظيمةً في ثباتهم على دينهم، فهذا جبل السنة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، امتحنه الوالي في فتنة القول بخلق القرآن، ولم يتنازل عن معتقده، وكان ثباته ثباتا لآهل السنة في زمانه.

قال أبو زرعة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "تاريخ دمشق" (٥/ ٣٢١):

(كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟، فقال لي: يا أبا زرعة لو جعل الصدق على جرح لبرأ).

وهذا أيضا عفان بن مسلم الصفار. كما في ["المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" (١١/ ٦١)]، ثبت ثبات الجبال في زمنه.

قال إبراهيم بن الحسين ديزيل: «لما دعي عفان للمحنة كنت آخذًا بلجام حماره فلما حضر عرض عليه القول فامتنع أن يجيب فقيل له : يحبس عطاؤك قال : وكان يعطى في كل شهر ألف درهم فقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، فلما رجع إلى داره عذله نساؤه ومن في داره، وكان في داره نحو أربعين إنسانًا قال: فدق عليه داق الباب فدخل رجل شبهته بسمان أو زيات ومعه كيس فيه ألف درهم فقال : يا أبا عثمان ثبتك الله كما ثبت هذا الدين وهذا لك في كل شهر». اهـ

قوله: (إِنَّ الدَلِيلَ مُثَبِّتٌ لِجَنَانِ): أي النصوص الشرعية والنظر فيها يهدي القلب، ويوفقه للثبات على الخير حتى الممات.

قال الناظم حفظه الله:

[٢٥] وَتَحَلَّ بِالرِفْقِ الذي أَوتِيتَهُ إِنَّ النُفُوسَ تُمَالُ بِالإِحْسَانِ

❖ الشرح:

لقد أمر النبي ﷺ بالرفق في سائر الأمور لأهميته.

وقد قيل: يدرك الرفق ما لا يدرك بالعنف.

وقيل: ألا ترى الماء على لينه يقطع الحجر على شدته.

وقيل: العجل بريد الزلل.

أخرج الإمام مسلم في "صحيحه" برقم (٢٥٩٢): عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ ﷺ: **«مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ»**.

وأخرج مسلم أيضا برقم (٢٥٩٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ».

فينبغي لطالب العلم أن يتحلى بالرفق مع قرينه وشيخه، فهو أصل كل خير، ومنبع كل فضيلة.

وفي حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عند أحمد برقم (٢٥٢٥٩)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». [صححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم (١٦٢٩)].

يقول العلامة تاج الدين السبكي كما في "طبقات الشافعية الكبرى" (١٠/٣٩٨):

«وَكنت أَنا كثير الْمُلَازمَة للذهبي أمضي إِلَيْهِ فِي كل يَوْم مرَّتَيْنِ بكرَة وَالْعصر وَأما الْمزي فَمَا كنت أمضي إِلَيْهِ غير مرَّتَيْنِ فِي الْأُسْبُوع وَكَانَ سَبَب ذَلِك أَن الذَّهَبِيّ كَانَ كثير الملاطفة لي والمحبة فِي بِحَيْثُ يعرف من عرف حَال مَعَه أَنه لم يكن يحب أحدا كمحبته فِي وَكنت أَنا شَابًّا فَيَقَع ذَلِك مني موقعا عَظِيما وَأما الْمزي فَكَانَ رجلا عبوسا مهيبا».

وقال ابن القيم كما في "مدراج السالكين" (٢/٥١١):

«فَلَيْسَ لِلْقَلْبِ أَنْفَعُ مِنْ مُعَامَلَةِ النَّاسِ بِاللُّطْفِ».

أما قوله: (إن النفوس تُمال بالإحسان): فنعم، فالنفس مجبولة على حب من أحسن إليها.

التحذير من التشبه بالعجم ولزوم غنى النفس

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٢٦] وَاحْذَرْ لِبَاسِ العُجْمِ وارْضَ بِالغِنَى أَعْنِي غِنَاءَ النَّفْسِ لَا الأَبْدَانِ

❖ الشرح:

حذّر الناظم -عفا الله عنه-، من لباس الأعاجم فليس من آداب طالب العلم أن يكون على هيئة مزرية في ظاهره.

وقد نهى النبي ﷺ عن التشبه بأهل الكتاب من الأعاجم وغيرهم وأن يلبس الإنسان لباسهم.

أخرج الإمام مسلم في "صحيحه" برقم (٥٣٧٨)، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ: **(يَا عُتْبَةُ بْنَ فَرْقَدٍ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أَبِيكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أُمِّكَ، فَأَشْبِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ)**.

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»**

[أخرجه أبو داود برقم: (٤٠٣١)، وصححه الألباني في "الإرواء" برقم (١٢٦٩)].

وأخرج ابن الجعد في "مسنده" برقم (٩٩٥)، بإسناد صحيح عن أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيَّ يَقُولُ: (**أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ مَعَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ: أَمَّا بَعْدُ: فَائْتَزِرُوا، وَارْتَدُوا، وَانْتَعِلُوا، وَأَلْقُوا الْخِفَافَ، وَأَلْقُوا السَّرَاوِيلَاتِ، وَعَلَيْكُمْ بِالشَّمْسِ؛ فَإِنَّهَا حِمَامُ الْعَرَبِ، وَعَلَيْكُمْ بِلِبَاسِ أَبِيكُمْ إِسْمَاعِيلَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ الْعَجَمِ، وَتَمَعْدَدُوا، وَاخْشَوْشِنُوا، وَاخْلَوْلِقُوا ...**). الأثر.

وأخرج أحمد في مسنده برقم (٢٢٢٨٣): عن **أَبِي أُمَامَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَشْيَخَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ بِيضٌ لِحَاهُمْ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ حَمِّرُوا وَصَفِّرُوا، وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ**». قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَسَرْوَلُونَ وَلَا يَأْتَزِرُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تَسَرْوَلُوا وَائْتَزِرُوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ**»، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَخَفَّفُونَ وَلَا يَنْتَعِلُونَ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَتَخَفَّفُوا وَانْتَعِلُوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ**». قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَقُصُّونَ عَثَانِينَهُمْ وَيُوَفِّرُونَ سِبَالَهُمْ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قُصُّوا سِبَالَكُمْ وَوَفِّرُوا عَثَانِينَكُمْ وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ**». [حسنه الألباني، كما في "جلباب المرأة المسلمة"].

وأخرج مسلم في "صحيحه" برقم (٢٠٧٧)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخْبَرَهُ، قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا**».

وقال حسّان بن ثابت في ديوانه(١١٠):

فَلا تَجْعَلوا لله نِدّاً وأسْلِمُوا ... وَلا تلبَسوا زِيّاً كزِيّ الأعَاجِمِ

قوله:(وارْضَ بِالغِنَى أَعْنِي غِنى النَفْسِ لَا الأَبْدَانِ).

من أعظم ما يثبت طالب العلم أمام العوائق رضاه بالقناعة، وهجره للدنيا، وعزوفه عنها، فإنه إن فعل ذلك رام خيرا عظيما، فكن ذا قناعة، وارض بما قدره الله لك، ولا تلتفت لما في أيدي المترفين.

ففي البخاري برقم: (٦٤٤٦)، ومسلم برقم: (١٠٥١): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»**.

وأخرج مسلم برقم (١٠٥٤) عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»**.

أخرج الترمذي برقم (٢٣٤٨) عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **« طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ»**.

وأخرج الترمذي برقم (٢٣٦٨): عَنْ **فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **« أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلاَةِ مِنَ الخَصَاصَةِ وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حَتَّى تَقُولَ الأَعْرَابُ هَؤُلاَءِ مَجَانِينُ أَوْ مَجَانُونَ، فَإِذَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ لأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً»**. اهـ [والحديث صححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم (١٠٦٠)].

فليس الغنِيُّ من يملك الأموال، وينعِّم الأجساد، إلى غير ذلك من المعاني التي يتفاخر بها العامة، وإنما الغنِيُّ غنِيُّ النفسِ، كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

الصدع بالحق والحذر من طلب العلم عند أهل الأهواء

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٢٧] كُنْ صَادِعاً بِالحَقِّ لا تَخْشَ الوَنَى فَالحَقُّ مِصْدَاقُ القَوَى بِجَنَانِ

❖ الشرح:

قال الله تعالى مخاطبا نبيه ﷺ، وهو خطاب لسائر أمته: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:٢٩] ، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وأخرج أحمد برقم (٢٠٨٩٤)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَمَرَنِي خَلِيلِي ﷺ بِسَبْعٍ: «**أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ**». [الحديث صححه العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٢١٦٦)، والعلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم (٢٦٧)].

قال الإمام الذهبي كما في "سير أعلام النبلاء" (١١/ ٢٣٤)، في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل": (الصَّدعُ بِالْحَقِّ عَظِيْمٌ، يَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةٍ وَإِخْلاَصٍ، فَالمُخْلِصُ بِلاَ قُوَّةٍ يَعجِزُ عَنِ القِيَامِ بِهِ، وَالقَوِيُّ بِلاَ إِخلاَصٍ يُخْذَلُ، فَمَنْ قَامَ بِهِمَا كَامِلاً، فَهُوَ صِدِّيْقٌ، وَمَنْ ضَعُفَ، فَلاَ أَقَلَّ مِنَ التَّأَلُّمِ وَالإِنكَارِ بِالقَلْبِ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ إِيْمَانٌ - فَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ -).

وهذه من الآداب التي يتحلى بها طالب العلم، وذلك أن يكون ملازماً للحق صادعًا به آخذاً له، وليخلع ربقه التقليد من عنقه فإن التقليد سبيل الضلالة ومادة الهزيمة.

قال الإمام الشوكاني كما في "أدب الطلب" صـ(٢٠٨)طـ: الكتب العلمية ـ وهو يذم التقليد: (لَا حجَّة فِي أحد خَالف السّنة الثَّابِتَة عَن رَسُول الله ﷺ كَائِنا من كَانَ قل عَددهمْ أَو كثر فَلَيْسَ لَهُم أَن يشرعوا للنَّاس غير مَا شَرعه الله بل يحملون على الْخَطَأ وَعدم الْعِنَايَة بِأَمْر الشَّرْع والتساهل فِي أَمر الدّين).

قلت: فزكاة العلم العمل به والصدع بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإليكم نموذجين مما كان عليه أسلافنا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ من ملازمة الحق والصدع به.

ففي "سير أعلام النبلاء" في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل صـ (١١/ ٢٥١)، وما بعدها:

أنّ الإمام أحمد لما عرض عليه المعتصم القول بخلق القرآن قال:

أَعطُونِي شَيْئاً مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ أَقُوْلُ بِهِ.

فَرَجَعَ، وَجَلَسَ، وَقَالَ لِلْجلاَّدِ: تقدمْ، وَأوجعْ، قطعَ اللهُ يدَك.

ثُمَّ قَامَ الثَّانِيَةَ، وَجَعَلَ يَقُوْلُ: وَيْحَك يَا أَحْمَدُ! أَجِبنِي.

فَجَعَلُوا يُقبلُوْنَ عَلَيَّ، وَيَقُوْلُوْنَ: يَا أَحْمَدُ، إِمَامُك عَلَى رَأسكَ قَائِمٌ!

وَجَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَقُوْلُ: مَنْ صنعَ مِنْ أَصْحَابِك فِي هَذَا الأَمْرِ مَا تَصْنَعُ؟

وَالمُعْتَصِمُ **يَقُوْلُ**: أَجِبنِي إِلَى شَيْءٍ لَكَ .

فِيْهِ أَدنَى فَرَجٍ حَتَّى أُطلِقَ عَنْكَ بِيَدِي.

ثُمَّ رَجَعَ، وَقَالَ لِلْجَلاَّدِ: تقدَّمْ.

فَجَعَلَ يَضْرِبُنِي سَوطينِ، وَيتنحَّى، وَهُوَ فِي خلاَلِ ذَلِكَ يَقُوْلُ: شُدَّ، قطعَ اللهُ يدَك.

فَذَهَبَ عَقلِي، ثُمَّ أَفقتُ بَعْدُ، فَإِذَا الأقيَادُ قد أطلقتْ عَنِّي.

فَقالَ لِي رَجُلٌ مِمَّن حضَرَ: كَبَبْنَاكَ عَلَى وَجْهِك، وَطَرحنَا عَلَى ظَهرِكَ بَارِيَّةً وَدُسنَاكَ!

قَالَ أَبِي : فَمَا شعرتُ بِذَلِكَ، وَأَتوني بِسَوِيْقٍ، وَقَالُوا: اشربْ وَتَقَيَّأْ.

فَقُلْتُ: لاَ أُفطِرُ.

ثُمَّ جِيْءَ بِي إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ، فَحضرتُ الظّهرَ، فَتَقَدَّمَ ابْنُ سِمَاعَةَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْفَتَلَ مِنْ صَلاَتِه، وَقَالَ لِي: صَلَّيْتَ، وَالدَّمُ يَسيلُ فِي ثَوبِكَ؟

قُلْتُ: قَدْ صَلَّى عُمَرُ وَجُرحُه يَثعَبُ دَماً .

قَالَ صَالِحٌ: ثُمَّ خُلِّيَ عَنْهُ، فَصَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

وَكَانَ مَكثُه فِي السجنِ مُنْذُ أُخذَ إِلَى أَنْ ضُربَ وَخُلِّيَ عَنْهُ، ثَمَانِيَةً وَعِشْرِيْنَ شَهْراً.

وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَحَدُ الرَّجلَينِ اللَّذينِ كَانَا مَعَهُ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، رَحْمَةُ اللهِ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ، وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَحداً يُشبِهُه، وَلَقَدْ جَعَلتُ أَقُوْلُ لَهُ فِي وَقْتِ مَا يُوجَّه إِلَينَا بِالطَّعَامِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَنْتَ صَائِمٌ، وَأَنْتَ فِي مَوْضِعِ تَفِئَةٍ. وَلَقَدْ عَطِشَ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الشَّرَابِ: نَاوِلْنِي.

فَنَاوَلَه قَدَحاً فِيْهِ مَاءٌ وثَلجٌ، فَأَخَذَهُ، وَنظرَ فِيْهِ، ثُمَّ رَدَّهُ، وَلَمْ يشربْ، فَجَعَلتُ أَعْجَبُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى الجُوْعِ وَالعطشِ، وَهُوَ فِيْمَا هُوَ فِيْهِ مِنَ الهولِ.

قَالَ صَالِحٌ: فَكُنْتُ أَلتمسُ وَأَحتَالُ أَنْ أُوصلَ إِلَيْهِ طعَاماً أَوْ رَغيفاً فِي تِلْكَ الأَيَّام، فَلَمْ أَقْدِرْ.

وَأَخْبرَنِي رَجُلٌ حَضَرَه: أَنَّهُ تَفقَّده فِي الأَيَّامِ الثَّلاَثَةِ وَهُم يُنَاظرونَه، فَمَا لَحَنَ فِي كَلِمَةٍ.

قَالَ: وَمَا ظَننتُ أَنَّ أَحداً يَكُوْنُ فِي مِثْلِ شَجَاعَتِه وَشِدَّةِ قَلْبِه.

قَالَ حَنْبَلٌ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ يَقُوْلُ:

ذَهبَ عقلِي مِرَاراً، فَكَانَ إِذَا رُفعَ عَنِّي الضَّربُ، رَجعتْ إِلَيَّ نَفْسِي، وَإِذَا اسْترخيتُ وَسقطتُ، رُفِعَ الضَّربُ، أَصَابَنِي ذَلِكَ مِرَاراً.

وَرَأَيْتُه -يَعْنِي: المُعْتَصِمَ- قَاعِداً فِي الشَّمْسِ بِغَيْرِ مِظَلَّةٍ، فَسَمِعْتُه - وَقَد أَفقتُ - يَقُوْلُ لاِبْنِ أَبِي دُوَادَ: لَقَدِ ارتكبتُ إِثْماً فِي أَمرِ هَذَا الرَّجُلِ.

فَقَالَ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، إِنَّهُ -وَاللهِ- كَافِرٌ مُشرِكٌ، قَدْ أَشرَكَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ.

فَلاَ يزَالُ بِهِ حَتَّى يَصرِفَه عَمَّا يُرِيْدُ.

وَقَدْ كَانَ أَرَادَ تَخلِيَتِي بِلاَ ضَربٍ، فَلَمْ يَدعْه، وَلاَ إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيْمَ.

قَالَ حَنْبَلٌ: وَبَلَغَنِي أَنَّ المُعْتَصِمَ قَالَ لاِبْنِ أَبِي دُوَادَ بَعْدَ مَا ضُرِبَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: كَمْ ضُرِبَ؟

قَالَ: أَرْبَعَةً، أَوْ نَيِّفاً وَثَلاَثِيْنَ سَوطاً.

قَالَ أَبُو الفَضْلِ عُبَيْدُ اللهِ الزُّهْرِيُّ: قَالَ المَرُّوْذِيُّ:

قُلْتُ - وَأَبُو عَبْدِ اللهِ بَيْنَ الهُنْبازِينَ -: يَا أُسْتَاذُ، قَالَ اللهُ -تَعَالَى-: ﴿**لاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُم**﴾ [النساء: ٢٩].

قَالَ: يَا مَرُّوْذِيُّ، اخرجْ وَانظرْ.

فَخَرَجتُ إِلَى رحبَةِ دَارِ الخِلاَفَةِ، فَرَأَيْتُ خَلقاً لاَ يُحصيهِم إِلاَّ اللهُ، وَالصُّحفُ فِي أَيديهِم، وَالأَقلاَمُ وَالمَحَابِرُ، فَقَالَ لَهُمُ المَرُّوْذِيُّ: مَاذَا تَعْمَلُوْنَ؟

قَالُوا: نَنظرُ مَا يَقُوْلُ أَحْمَدُ، فَنَكْتُبُه.

فَدَخَلَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا مَرُّوْذِيُّ! أُضِلُّ هَؤُلاَءِ كُلَّهُم؟!

فَهَذِهِ حِكَايَةٌ مُنْقَطِعَةٌ .

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الفَضْلِ الأَسَدِيُّ، قَالَ:

لَمَّا حُمِلَ أَحْمَدُ لِيُضْرَبَ، جَاؤُوا إِلَى بِشْرِ بنِ الحَارِثِ، وَقَالُوا: قَدْ وَجبَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ.

فَقَالَ: أَتُرِيدُوْنَ مِنِّي أَقُومَ مَقَامَ الأَنْبِيَاءِ، لَيْسَ ذَا عِنْدِي، حَفِظَ اللهُ أَحْمَدَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِه.

الحَسَنُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُثْمَانَ الفَسَوِيُّ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ بنُ عَرَفَةَ، حَدَّثَنَا مَيْمُوْنُ بنُ أَصْبَغَ، قَالَ:

كُنْتُ بِبَغْدَادَ، وَامتُحِنَ أَحْمَدُ، فَأخذتُ مَالاً لَهُ خَطَرٌ، فَذَهَبتُ بِهِ إِلَى مَنْ يُدْخِلُنِي إِلَى المَجْلِسِ.

فَأُدخلتُ، فَإِذَا السُّيوفُ قَدْ جُرِّدتْ، وَبِالرِّمَاحِ قَدْ رُكزَتْ، وَبَالتِّرَاسِ قَدْ صُفِّفتْ، وَبَالسِّيَاطِ قَدْ وُضعتْ، وَأُلبستُ قَبَاءً أَسودَ وَمِنطَقَةً وَسيفاً، وَوُقِّفتُ حَيْثُ أَسْمَعُ الكَلاَمَ.

فَأَتى أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ، فَجلسَ علَى كُرْسِيٍّ، وَأَتَى بِأَحْمَدَ، فَقَالَلَهُ: وَقَرَابتِي مِنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ لأَضربنَّكَ بِالسِّيَاطِ، أَوْ تَقُوْلُ كَمَا أَقُوْلُ.

ثُمَّ التفتَ إِلَى جَلاَّدٍ، فَقَالَ: خُذْهُ إِلَيْكَ.

فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا ضُرِبَ سوطاً، قَالَ: بِاسْمِ اللهِ.

فَلَمَّا ضُرِبَ الثَّانِي، قَالَ: لاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ.

فَلَمَّا ضُرِبَ الثَّالِثَ، قَالَ: القُرْآنُ كَلاَمُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوْقٍ.

فَلَمَّا ضُرِبَ الرَّابِعَ، قَالَ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيْبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾ [التَّوبَةُ:٥١]، فَضُرِبَ تِسْعَةً وَعِشْرِيْنَ سوطاً.

وَكَانَتْ تِكَّتُهُ حَاشِيَةَ ثَوْبٍ، فَانْقَطَعَتْ، فَنَزَلَ السَّرَاوِيلُ إِلَى عَانَتِهِ، فَقُلْتُ: السَّاعَةَ يَنْهَتِكُ.

فَرمَى بِطرفِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَحَرَّكَ شَفتَيهِ، فَمَا كَانَ بِأسرَعَ مِنْ أَنْ بَقِيَ السَّرَاوِيلُ لَمْ يَنْزِلْ.

فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! رَأَيْتُكَ وَقَدِ انْحلَّ سرَاوِيلُكَ، فَرَفَعتَ طَرْفَك نَحْوَ السَّمَاءِ، فَمَا قُلْتَ؟

قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي مَلأتَ بِهِ العَرْشَ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي عَلَى الصَّوَابِ، فَلاَ تَهْتِكْ لِي سِتراً.

هَذِهِ حِكَايَةٌ مُنْكَرَةٌ، أَخَافُ أَنْ يَكُوْنَ دَاوُدُ وَضعَهَا.

قَالَ جَعْفَرُ بنُ أَحْمَدَ بنِ فَارِسٍ الأصبهَانِيُّ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ أَبِي عُبَيْد اللهِ، قَالَ:

قَالَ أَحْمَدُ بنُ الفَرَجِ: حضَرتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ لَمَّا ضُرِبَ، فَتَقَدَّمَ أَبُو الدَّنِّ فَضربَهُ بِضْعةَ عَشرَ سَوطاً، فَأَقبلَ الدَّمُ مِنْ أكتَافِهِ، وَكَانَ عَلَيْهِ سَرَاوِيلُ، فَانقطَعَ خَيطُهُ، فَنَزَلَ.

فَلحظتُهُ وَقَدْ حَرَّكَ شَفتيهِ، فَعَادَ السَّرَاوِيلُ كَمَا كَانَ، فَسَأَلْتُهُ، قَالَ:

قُلْتُ: إِلَهِي وَسَيِّدِي، وَقَفْتَنِي هَذَا المَوْقِفَ، فَتَهتِكُنِي عَلَى رُؤُوْسِ الخَلاَئِقِ!

وَهَذِهِ الحكَايَةُ لاَ تَصِحُّ.

وَقَدْ سَاقَ صَاحِبُ (الحِلِيَةِ) مِنَ الخرَافَاتِ السَّمِجَةِ هُنَا مَا يُسْتَحيَا مِنْ ذِكْرِهِ.

فَمِنْ ذَلِكَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الحُسَيْنُ بنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ القَاضِي، حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الجَوْهَرِيُّ، حَدَّثَنَا يُوْسُفُ بنُ يَعْقُوْبَ، سَمِعْتُ عَلِيَّ بنَ مُحَمَّدٍ القُرَشِيَّ، قَالَ:

لَمَّا جُرِّدَ أَحْمَدُ لِيُضْرَبَ، وَبَقِيَ فِي سَرَاوِيلِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُضْرَبُ، انحلَّ سَرَاوِيلُهُ، فَحرَّكَ شَفَتيه، فَرَأَيْتُ يَدَينِ خَرَجتَا مِنْ تَحْتِهِ، فَشَدَّتَا السَّرَاوِيلَ.

فَلَمَّا فَرغُوا مِنَ الضَّربِ، سَأَلْنَاهُ، قَالَ:

قُلْتُ: يَا مَنْ لاَ يَعلَمُ العَرْشُ مِنْهُ أَيْنَ هُوَ إِلاَّ هُوَ، إِنْ كُنْتُ عَلَى الحقِّ، فَلاَ تُبْدِ عَورتِي. اهـ

وهذا الإمام النابلسي سطر له التاريخ ذكرا حسناً، يوم أن صدع بالحق، وأنكر الباطل وزيفه، في وجوه العبيديين.

قال الذهبي كما في السير (١٦/١٤٩): قَالَ أَبُو ذرٍ الحَافِظُ: سَجَنَهُ بَنُو عُبَيْدٍ، وَصلَبُوهُ عَلَى السُّنَّةِ، سَمِعْتُ الدَّارَقُطْنِيَّ يذكُرُهُ، وَيَبْكِي، وَيَقُوْلُ: كَانَ يَقُوْلُ، وَهُوَ يُسْلَخُ: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء:٥٨].

قَالَ أَبُو الفَرَجِ بنُ الجَوْزِيِّ: أَقَامَ جَوهرُ القَائِدُ لأَبِي تَمِيمٍ صَاحبِ مِصْرَ أَبَا بَكْرٍ النَّابُلسِيَّ، وَكَانَ ينزلُ الأَكواخَ، فَقَالَ لَهُ: بَلَغَنَا أَنَّكَ قُلْتُ: إِذَا كَانَ مَعَ الرَّجُلِ عَشْرَةُ أَسهُمٍ، وَجبَ أَنْ يَرْمِيَ فِي الرُّوْمِ سَهْماً، وَفينَا تِسْعَةً.

قَالَ: مَا قُلْتُ هَذَا، بَلْ قُلْتُ: إِذَا كَانَ مَعَهُ عَشْرَةُ أَسهُمٍ، وَجبَ أَنْ يرمِيَكُمْ بِتِسعَةً، وَأَنْ يَرمِيَ العَاشرَ فِيْكُمْ أَيْضاً، فَإِنَّكُم غيَّرْتُم الملَّةَ، وَقَتَلْتُم الصَّالِحِيْنَ، وَادَّعَيْتُم نورَ الإِلهيَّةِ، فشهرَهُ ثُمَّ ضَرَبَهُ، ثُمَّ أَمرَ يَهُودِيّاً فَسَلَخَهُ.

قَالَ ابْنُ الأَكفَانِيِّ: تُوُفِّيَ العَبْدُ الصَّالِحُ الزَّاهِدُ أَبُو بَكْرٍ بنُ النَّابُلسِيِّ، كَانَ يَرَى قِتَالَ المغَاربَةِ، هَرَبَ مِنَ الرَّملَةِ إِلَى دِمَشْقَ، فَأَخَذَهُ مُتَوَلِّيهَا أَبُو محمودٍ الكُتَامِيُّ، وَجعَلَهُ فِي قفصِ خشبٍ، وَأَرسَلَهُ إِلَى مِصْرَ، فَلَمَّا وَصلَ قَالُوا: أَنْتَ القَائِلُ، لَوْ أَنَّ مَعِيَ عَشْرَةَ أَسهُمٍ ... وَذَكَرَ القِصَّةَ، فسُلِخَ وَحُشِيَ تِبْناً، وَصُلبَ.

قَالَ مَعْمَرُ بنُ أَحْمَدَ بنِ زِيَادٍ الصُّوْفِيُّ: أَخْبَرَنِي الثِّقَةُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ سُلِخَ مِنْ مفرِقِ رَأْسِهِ حَتَّى بُلِغَ الوَجْهُ، فَكَانَ يذكُرُ اللهَ وَيَصْبرُ حَتَّى بلغَ الصَّدْرَ فَرَحِمَهُ السَّلاَّخُ، فوكزَهُ بِالسِّكِّينِ مَوْضِعَ قلبِهِ فَقضَى عَلَيْهِ.

وَأَخْبَرَنِي الثِّقَةُ أَنَّهُ كَانَ إِمَاماً فِي الحَدِيْثِ وَالفِقْهِ، صَائِمَ الدَّهْرِ، كَبِيْرَ الصَّوْلَةِ عِنْدَ العَامَّةِ وَالخَاصَّةِ، وَلَمَّا سُلخَ كَانَ يُسمعُ مِنْ جَسَدِهِ قِرَاءةُ القُرْآنِ، فغَلبَ المَغْرِبِيُّ بِالشَّامِ، وَأَظهرَ المَذْهَبَ الرَّدِيءَ، وَأَبطَلَ التَّرَاويحَ وَالضُّحَى، وَأَمرَ بِالقُنُوتِ فِي الظُّهْرِ، وَقُتِلَ النَّابُلُسِيُّ سَنَةَ ثَلاَثٍ.

وَكَانَ نبيلاً رَئِيْسَ الرَّمْلَةِ، فَهَرَبَ، فَأُخِذَ مِنْ دِمَشْقَ.

وَقِيْلَ: قَالَ شريفٌ مِمَّنْ يعَانِدُهُ لَمَّا قَدِمَ مِصْرَ: الحَمْدُ للهِ عَلَى سَلاَمَتِكَ، قَالَ: الحَمْدُ للهِ عَلَى سلاَمَةِ دِينِي، وَسلاَمَةِ دُنْيَاكَ.

قُلْتُ: لاَ يُوصَفُ مَا قلبَ هَؤُلاَءِ العُبَيْدِيَّةِ الدِّينَ ظهراً لِبَطْنٍ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى المَغْرِبِ، ثُمَّ عَلَى مِصْرَ وَالشَّامِ، وَسَبُّوا الصَّحَابَةَ.

حكَى ابْنُ السَّعسَاعِ المِصْرِيُّ، أَنَّهُ رَأَى فِي النَّوْمِ أَبَا بَكْرٍ بنُ النَّابُلُسِيِّ بَعْدَمَا صُلبَ وَهُوَ فِي أَحسنِ هيئَةٍ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ فَقَالَ:

حبَـانِي مَالِـكِي بِدَوامِ عِزٍّ ... وَوَاعَدَنِي بقُـرْبِ الانتصَـارِ

وَقَرَّبَـنِي وَأَدْنَـانِي إِلَيْـهِ ... وَقَالَ انْعَمْ بعَيْشٍ فِي جِوَارِي

قال الإمام ابن عبد البر كما في "الاستذكار" (٦/٢٥٧):

(وَلَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا انْصَرَفُوا إِلَى الْحَقِّ إِذْ بَانَ لهم).

وقال عَبْدُ الغَنِيِّ بنُ سعيدٍ كما في "سير أعلام النبلاء" (١٧/٧٠):

لَمَا رددتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ الحَاكِم (الأَوهَامَ الَّتِي فِي المدخلِ) بَعثَ إِلَيَّ يَشْكُرُنِي، وَيَدْعُو لِي، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ عَاقِلٌ.

لا تخْشَ الـوَنَى فَالحَقُّ ... مِصْـدَاقُ القُـوَى بِجَنَـانِ

(الونى) الضعف، ومعنى البيت: أنّ الحق يدل على قوة القلب.

قال الناظم حفظه الله:

[٢٨] وَاعْلَـمْ بِـأَنَّ ذَوِي الـكَلَامِ وَأَهْلَـهُ ... قَـدْ أَغْمِسُـوا فِي الشَّـرِّ وَالتَّيَهَـانِ

❖ الشرح:

هذه من الركائز المهمة التي ينبغي لطالب العلم أن يتفطن لها، وهي أن يحذر أهل الكلام وأضرابهم، فإنّ من الناس من خاض في هذا المضمار فتزندق، وأورده علم الكلام موارد الهلكة.

قال أَبو يُوسُفَ الْقَاضِيُّ: «مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلَامِ تَزَنْدَقَ.

وقَالَ الشَّافِعِيُّ: حُكْمِي فِي أَصْحَابِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ، وَيُحْمَلُوْا عَلَى الْإِبِلِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَخَذَ فِي الْكَلَامِ». [كما في "شرح الطحاوية" ص(١/ ٧٥). ط: دار السلام].

وهذا الشهرستاني يصف حاله وفيما وصل إليه من الكلام وما ناله فتمثل بما قاله. كما في كتابه "نهاية الإقدام في علم الكلام" صـ(١٣).

لَعمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا ... وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِـــرٍ ... عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَـــادِمِ

وعلم الكلام عرّفه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما نقل عنه العلامة ابن العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "فتح رب البرية بتلخيص الحموية"(١/ ٩٥).

قال هو: ما أحدثه المتكلّمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء الكتاب والسنة به.

وخلاصة البيت: أن الطالب ينبغي عليه أن يجتنب علم الكلام، فإن ثمرته قليلة، ومن دخل فيه يُخشى عليه الضلال، وهو كما قيل (طويل الذيل قليل النيل)، **قلت**: وهو قليل النيل في حق من درّسه ليفنّد به شبه الكلاميين.

❁ **قال الناظم حفظه الله:**

[٢٩] لَا تَأْخُذَنَّ العِلْمَ عَنْ ذِي شُبْهَةٍ ... حَتَى تُضِيءَ طَرِيقَةَ الحَيْرَانِ

❖ **الشرح:**

لقد امتلأت كتبُ الردود و العقائد والآداب في التحذير من أهل البدع والأخذ عنهم، وذلك صيانةً للعبد من الزيغ والانحراف وأخذاً للميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم من بيان الباطل وأهله.

قال تَعَالَى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مُمْرِضَةٌ لِلْقُلُوبِ)، [كما في الإبانة: (٢/ ٤٣٨)].

وقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: كما في مقدمة "صحيح مسلم" برقم: (٢٥): (إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ).

وقَالَ مُجَاهِدٌ: كما في "الإبانة"(٢/٤٤١): (لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ ، فَإِنَّ لَهُمْ عُرَّةً كَعُرَّةِ الْجَرَبِ).

وقال هشام بن حسّان: كما في "شرح السنّة للالكائي" (١/ ١٣٣): (كَانَ الْحَسَنُ وَمُحَمَّدُ بن سيرين يَقُولَانِ: لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُمْ).

وقال مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في "الجامع لابن أبي زيد القيرواني" (١٢٥): (لا تسلِّم على أهل الأهواء ولا تجالسهم إلا أن تغلظ عليهم، ولا يعاد مريضهم، ولا تحدث عنهم الأحاديث).

وقَالَ الإمام أَحْمَدُ بنُ حَنبَلٍ كما في "السير" للذهبي (١١/ ٢٣١): (وَإِيَّاكُم أَنْ تَكْتُبُوا -يَعْنِي: عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ الأَهوَاءِ، قَلِيْلاً وَلاَ كَثِيْراً- عَلَيْكُمْ بِأَصْحَابِ الآثَارِ وَالسُّنَنِ).

وقال الإمام البربهاري كما في "شرح السنة" (٧): (وإذا رأيت الرجل عابداً مجتهداً متقشفاً محترفاً بالعبادة صاحب هوى؛ فلا تجلس معه ولا تسمع كلامه، ولا تمش معه في طريق، فإني لا آمن أن تستحلي طريقه فتهلك معه).

وقال العلامة العثيمين كما في "مجموع الفتاوى والرسائل" (٨٩/٥):

ومن هجر أهل البدع: ترك النظر في كتبهم خوفا من الفتنة بها، أو ترويجها بين الناس فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْه**».

وخلاصة البيت: التحذير من الأخذ عن أهل البدع كي ينجو المسلم بدينه ويُضيئ الطريق لنفسه ولغيره.

* * *

معرفة الفضل لأهله

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٣٠] وَاعْرِفْ لِشَيْخِكَ فَضْلَهُ وَجُهُودَهُ تَظْفَرْ بِشَيخٍ يَا أَخَا العِرْفَانِ

❖ الشرح:

هذه من الآداب العظيمة لطالب العلم التي ينبغي له ألاّ وهي معرفة الفضل لأهله.

فقد أخرج أبو داود في سننه برقم (٤٨١١)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»**. [صححه العلامة الألباني في "الصحيحة" برقم: (٧٧٦)، والعلامة الوادعي في "الصحيح المسند" (١٣٣٠)].

وأخرج أبو داود في سننه برقم: (١٦٧٢): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»**. [صححه العلامة الألباني في "الإرواء" برقم: (٦٠)، والعلامة الوادعي في "الصحيح المسند" (٧٣٦)].

وأخرج البيهقي كما في "المدخل إلى السنن الكبرى". بسند صحيح. برقم (٦٨٤): **قال الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ**: وَاللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيْبَةً لَهُ.

وقال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "الفقه والمتفقه" (٢/ ١٣٤): **(كَذَا يَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ الِاعْتِرَافُ بِفَضْلِ الْفَقِيهِ، وَالْإِقْرَارُ بِأَنَّ الْعِلْمَ مِنْ جِهَتِهِ اكْتَسَبَهُ، وَعَنْهُ أَخَذَهُ)**.

وقال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ٧١): (وَعَلَى الْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَعْرِفَ حُرْمَةَ أُسْتَاذِهِ وَيَشْكُرَ إحْسَانَهُ إلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ وَلَا يَجْحَدَ حَقَّهُ وَلَا يُنْكِرَ مَعْرُوفَهُ).

وقال الإمام أحمد بن حنبل في وصف الشافعي كما في "سير أعلام النبلاء"(١٠/ ٤٥): (كَانَ كَالشَّمْسِ لِلدُّنْيَا، وَكَالعَافِيَةِ لِلنَّاسِ، فَهَلْ لِهَذَيْنِ مِنْ خَلَفٍ، أَوْ مِنْهُمَا عِوَضٌ).

وقال عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ القَوَارِيْرِيُّ كما في "السير" للذهبي (٧/ ٢٠٨): «سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ سَعِيْدٍ يَقُوْلُ: قَالَ لِي شُعْبَةُ: **(كُلُّ مَنْ كَتَبتُ عَنْهُ حَدِيْثاً، فَأَنَا لَهُ عَبْدٌ)**.

وقال الإمام أَحْمَد كما في "طبقات الحنابلة" (١/ ٢٨٣): يقول (ستة أدعو لهم سحرًا أحدهم الشافعي).

وقال الإمام البخاري كما في "الجامع لأخلاق الراوي" (١/ ١٨٣):

مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَوْقَرَ لِلْمُحَدِّثِينَ مِنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ.

وقد أحسن من قال:

إذا أَفَـادَكَ إِنْسَـانٌ بِفَـائِدَةٍ ... مِـنَ العُلُـومِ فَـلَازِمْ شُـكْرَهُ أَبَـدَا

وَقُـلْ فُـلَانٌ جَـزَاهُ اللهُ صَـالِحَةً ... أَفَادَنِيهَـا وَدَعْـكَ الكِبْرَ وَالحَسَـدَا

* * *

الاهتمام بالتأصيل العلمي

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٣١] اضْبِطْ مَفَاتِيحَ العُلُومِ مُثَابِراً إِنَّ العُلُومَ تُنَالُ بَالإِتْقَانِ

❖ الشرح:

قال ابن عبد البر كما في "التمهيد" (١٤/ ١٣٣): وخير العلوم ما ضبط أصله واستذكر فرعه وقاد إلى الله تعالى ودل على ما يرضاه.

قال العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من لم يتقن الأصول؛ حُرم الوصول، ومن رام العلم جُملة ذهب عنه جُملة.

وقيل أيضاً: ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم، وعليه فلابد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه بضبط أصله على شيخ متقن لا بالتحصيل الذاتي وحده وخذ الطلب بالتدرج، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً، كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ، وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقال العلامة ابن عثيمين في كتابه "العلم" صـ(١٢٥): (على طالب العلم أن يبدأ شيئًا فشيئًا، فعليك أن تبدأ في الأصول والقواعد والضوابط وما أشبه ذلك من المختصرات مع المتون؛ لأن المختصرات سلم إلى المطولات، لكن لابد من معرفة الأصول والقواعد ومن لم يعرف الأصول حرم الوصول).

وقال العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "الحلية"(٢٥٧):

فأمامك أمور لابد من مراعاتها في كل فن تطلبه:

أولاً: حفظ مختصر فيه.

ثانياً: ضبطه على شيخ متقن.

ثالثاً: عدم الاشتغال بالمطولات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله». اهـ

قلت: هذه هي الطريقة التي ينبغي لطالب العلم أن يلازمها، وهو أن يضبط المتون وأصول المسائل ولن يتحصل الطالب على كبير علم إلا إذا أتقن المحفوظات.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في "شرح الحلية" صـ(٦٢):** «وما نفعنا الله إلا بما حفظنا من المتون. لولا أن نفعنا بذلك لضاع علينا علم عظيم».

قال الناظم حفظه الله:

[٣٢] تَأْصِيلُ عِلْمٍ وَالتِمَاسُ مُذَاكِرٍ حَتَى يَزِيدَ اللُّبّ زَادٌ ثَانِ

❖ الشرح:

من الآداب العلية التي ينبغي لطالب العلم ألا يهملها: مراعات التأصيل في تحصيل العلم، وذلك أنه يتدرج شيئا فشيئا في حفظ المتون ودراستها، وقد دلت على هذا السنة، **ففي البخاري (٥٨٦١):** عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ**».

وقال الزهري كما في "الجامع لأخلاق الراوي" (١/ ٢٣٢): (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ جُمْلَةً فَاتَهُ جُمْلَةً، وَإِنَّمَا يُدْرَكُ الْعِلْمُ حَدِيثٌ وَحَدِيثَانِ).

قلت: ومن التأصيل في تحصيل العلم ما سيأتي ذكره من كلام ابن جماعة:

وقال ابن جماعة كما في "تذكرة السامع" (١٠٥): ولا يمكن الطالب من الاشتغال في فنين أو أكثر إذا لم يضبطها بل يقدم الأهم فالأهم كما سنذكر إن شاء الله تعالى.

وإذا علم أو غلب على ظنه أنه لا يفلح في فن أشار عليه بتركه والانتقال إلى غيره مما يرجى فيه فلاحه. اهـ

وقال الخطيب كما في "تذكرة السامع والمتكلم" صـ (١٤٤): (وأفضل المذاكرة مذاكرة الليل، وكان جماعة من السلف يبدؤون في المذاكرة من العشاء فربما لم يقوموا حتى يسمعوا أذان الصبح).

وقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما **في "الجامع" للخطيب(١/١٣٦)**: (كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ، فَإِذَا قُمْنَا تَذَاكَرْنَاهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَتَّى نَحْفَظَهُ).

وقال الزهري كما في سنن الدارمي (٦٢١):

«آفَةُ الْعِلْمِ، النِّسْيَانُ، وَتَرْكُ الْمُذَاكَرَةِ».

وقد قيل:

من حاز العِلْم وذَاكَرَهُ ... صَلُحَت دنياه وآخرته

فـأدِمْ للعِـلـم مذاكـرة ... فحَيـاة العِلْمِ مذاكرته

قال الناظم حفظه الله:

[٣٣] لاَ تَنْشَغِلْ بِمُطَوَّلٍ وَاسْلُكْ كَمَا ... دَرَبَ الهُدَاةُ ذَوُو الحِجَى والشَانِ

❖ الشرح:

هذه من الآداب المهمة لطالب العلم وهو أنه إذا شرع في طلب العلم لا ينشغل بالمطولات والمسائل الخلافية، وإنما يبدأ بحفظ الأصول حتى تكون سلَّماً له إلى الوصول، قال الله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران:٧٩].

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ : (الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كباره)، [كما في كتاب "العلم" من صحيحه].

قال الحافظ ابن حجر معلقاً على كلام البخاري: (وَالْمُرَادُ بِصِغَارِ الْعلم مَا وضح من مسَائِله وبكباره ما دقّ مِنْهَا وَقِيلَ يُعَلِّمُهُمْ جُزْئِيَّاتِهِ قَبْلَ كُلِّيَّاتِهِ أَوْ فُرُوعَهُ قَبْلَ أُصُولِهِ أَوْ مُقَدِّمَاتِهِ قَبْلَ مَقَاصِدِهِ).

قوله: (.... وَاسْلُكْ كَـما .. دَرَبَ الهدَاةُ ذَوُو الحِجَى والشَـانِ):

أي إذا أردت النبوغ في العلم والوصول إلى المطلوب، فعليك بسير الأئمة وما كانوا عليه من المنهجية التي سلكوها في تحصيل العلم والصبر على شدائده.

قال الناظم حفظه الله:

[٣٤] وَتَجَنَّبَنَّ مِنَ السُؤَالِ بِكَثْرَةٍ كُثْرُ المَسَائِلِ مُورِثُ الإِكْعَانِ

❖ الشرح:

هذه من الآداب التي رعاها الإسلام.

فقد نهى النبي ﷺ عن كثرة السؤال كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند مسلم في صحيحه: (١٧١٥) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **« إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ »**.

فالسؤال الذي لا فائدة منه ويحمل في طيَّاته الجدال والتَعَنُّت ذمه الشارع.

وهكذا كثرة السؤال على المدرس فإنه يورث الملل، فقد كان السلف يهابون علمائهم عند السؤال، حتى أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تهيب من سؤال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومرت عليه سنتان وهو مُحجم عن سؤاله في شأن المرأتين اللتين ظاهر النبي ﷺ منهما، ففي "مسند أحمد"(٣٣٠): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **«أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَ**

عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَا رَأَيْتُ مَوْضِعًا، فَمَكَثْتُ سَنَتَيْنِ، فَلَمَّا كُنَّا بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، وَذَهَبَ لِيَقْضِيَ حَاجَتَهُ، فَجَاءَ وَقَدْ قَضَى حَاجَتَهُ، فَذَهَبْتُ أَصُبُّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنِ الْمَرْأَتَانِ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ».

والحديث رجاله ثقات من طريق سُفْيَان، عَنْ يَحْيَى - يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ - عَنْ عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

وقال القاسم بن سلام كما في "المدخل" للبيهقي (٦٧٦):

مَا دَقَقْتُ عَلَى مُحَدِّثٍ بَابَهُ قَطُّ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [الحجرات: ٥].

وقال المغيرة كما في الجامع لآداب الراوي (٧٨):

«كُنَّا نَهَابُ إِبْرَاهِيمَ كَمَا يُهَابُ الْأَمِيرُ».

والإكعان: في اللغة: هو فتور النشاط كما ذكره الفيروز آبادي - في القاموس - (فصل الكاف).

قال الناظم حفظه الله:

[٣٥] قَيِّدْ عُلُومَكَ بِالكِتَابَةِ وَالتُّقَى تَسْمُو قُيُودُكَ فِي مَدَىْ الأَزْمَانِ

❖ الشرح:

لقد حث النبي ﷺ على الكتابة لأهميتها، لأن تقييد العلم أمان من الضياع.

وأخرج البخاري برقم: (٧٥)، ومسلم برقم: (١٣٥٥)، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ ﷺ: **«اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ»**.

وقال الإمام القرطبي - رَحِمَهُ اللَّهُ - كما في "المعلم بفوائد مسلم": «تحت الحديث المشار إليه - قال: وفيه جواز على تدوين العلم والسنن وحفظه في المصاحف».

فقد أخرج الطبراني كما في "المعجم الكبير" (٧٠٠) عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ**». [والحديث صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٢٠٢٦)].

وقال الإمام النووي كما في "المجموع" (١/ ٧٠): بَابُ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ:

(وَلَا يَحْتَقِرَنَّ فَائِدَةً يَرَاهَا أَوْ يَسْمَعُهَا فِي أَيِّ فَنٍّ كَانَتْ بَلْ يُبَادِرُ إِلَى كِتَابَتِهَا ثُمَّ يُوَاظِبُ عَلَى مُطَالَعَةِ مَا كَتَبَهُ).

وأخرج البخاري برقم: (١١٣): عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ).

وقال الشعبي كما في "كتاب العلم" لأبي خيثمة بإسناد حسن:

(إذا سمعت شيئا فاكتبه ولو في الحائط).

وقال عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ، كما في "الحلية لأبي نُعيم"(٩/٣) بإسناد صحيح

(رُبَّمَا كُنْتُ أُمَاشِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ، فَأُذَاكِرُهُ بِالْحَدِيثِ، فَيَقُولُ: لَا تَبْرَحُ حَتَّى أَكْتُبَهُ).

وقَالَ أَبُو صَالِحٍ الفَرَّاءُ كما في "سير أعلام النبلاء"(٤٠٩/٨):

«سَأَلْتُ ابْنَ المُبَارَكِ عَنْ كِتَابَةِ العِلْمِ، فَقَالَ: لَوْلاَ الكِتَابُ مَا حَفِظْنَا».

لزوم علو الهمة

قال الناظم حفظه الله:

[٣٦] وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ هِمَّةً تَعْلُو بِهَا لِتَصِيرَ بَدْراً مُشْرِقاً بِعَنَانِ

❖ الشرح:

الهمة تحدو بالمرء إلى طلب المعالي، فمن كان ذا همة ظفر بالمراد، وقد قيل: «**إنّ الدواعي تشدُّ القوى، ورُبَّ همّة رفعت أُمَّة**».

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٣/ ٥). في منزلة الهمة.:

وَالْهِمَّةُ فِعْلَةٌ مِنَ الْهَمِّ. وَهُوَ مَبْدَأُ الْإِرَادَةِ. وَلَكِنْ خَصُّوهَا بِنِهَايَةِ الْإِرَادَةِ. فَالْهَمُّ مَبْدَؤُهَا. وَالْهِمَّةُ نِهَايَتُهَا.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ: فِي بَعْضِ الْآثَارِ الْإِلَهِيَّةِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «**إِنِّي لَا أَنْظُرُ إِلَى كَلَامِ الْحَكِيمِ. وَإِنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى هِمَّتِهِ**».

قَالَ: وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ. وَالْخَاصَّةُ تَقُولُ: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَطْلُبُ. يُرِيدُ: أَنَّ قِيمَةَ الْمَرْءِ هِمَّتُهُ وَمَطْلَبُهُ. اهـ

قال ابن الجوزي كما في "صيد الخاطر "(٤٤٣): «فمن كان ذا همة ونصح نفسه تشاغل بالمهم من كل علم، وجعل جل شغله الفقه، فهو أعظم العلوم وأهمها».

وقال كما في صفحة(٥٠٣): «وقد عرفت بالدليل أن الهمة مولودة مع الآدمي؛ وإنما تقصر بعض الهمم في بعض الأوقات، فإذا حثت سارت. ومتى رأيت في نفسك عجزًا فسل المنعم، أو كسلًا فالجأ إلى الموفق، فلن تنال خيرًا إلا بطاعته، ولا يفوتك خير إلا بمعصيته، فمن الذي أقبل عليه فلم يرد كل مراد؟ ومن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة، أو حظي بغرض من أغراضه».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- كما في "مدارج السالكين" (٣/ ١٦٢):

(فعلو همة المرء- عنوان فلاحه، وسفول همته عنوان حرمانه).

وسئل العلامة ابن عثيمين كما في كتابه "العلم":- الفصل الثاني- فتاوى حول العلم:

«إذا كان آفة العلم النسيان فما الأمور أو الطرق التي تعين على ضبط العلم؟

الجواب: أن يهتدي الإنسان بعلمه قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

ومنها: أن يكبّ على طلب العلم همه وهاجسه.

ومنها: أن يتعاهده بالحفظ والمذاكرة. اهـ

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٣٧] كَمْ أُمَّةٍ مُحْتَاجَةٍ لِذَوِي النُّهَى أَكْرِمْ بِهِمْ مِنْ أَنْجُمٍ شُجْعَانِ

❖ الشرح:

لاشكّ أن الناس بحاجة إلى العلماء وحاجتهم إليهم أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب.

فهم أئمة الأنام وزوامل الإسلام الذين حفظوا على الأمة معاقد الدين ومعاقله، وحموا من التغيير والتكدير موارده ومناهله.

قال الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: كما في "إعلام الموقعين" (١/ ٩): (يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى، وَيُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى الْمَوْتَى، وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللَّهِ أَهْلَ الْعَمَى، فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسٍ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ "إعلام الموقعين"(٢/٢٥٧): (فَمَا خَرَابُ الْعَالَمِ إِلَّا بِالْجَهْلِ، وَلَا عِمَارَتُهُ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَإِذَا ظَهَرَ الْعِلْمُ فِي بَلَدٍ أَوْ مَحَلَّةٍ قَلَّ الشَّرُّ فِي أَهْلِهَا، وَإِذَا خَفَى الْعِلْمُ هُنَاكَ ظَهَرَ الشَّرُّ وَالْفَسَادُ. وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذَا فَهُوَ مِمَّنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُورًا).

وقال ميمون ابن مهران كما في "تاريخ دمشق" (١٦/٣٥٩) عن العلماء:

«وجدت صلاح قلبي في مجالستهم هم بغيتي في أرض غريبة وهم ضالتي إذا لم أجدهم».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "إعلام الموقعين"(١/١٠)، واصفاً فضل العلماء:

(هُمْ فِي الْأَرْضِ بِمَنْزِلَةِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، بِهِمْ يَهْتَدِي الْحَيْرَانُ فِي الظُّلَمِ، وَحَاجَةُ النَّاسِ إِلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَطَاعَتُهُمْ أَفْرَضُ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ الْأُمَّهَاتِ وَالْآبَاءِ).

* * *

الحذر من المبتدعة ووجوب التأسي بالسلف

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٣٨] لاَ تُعْظِمِ البِدْعِيّ وَاعْلَمْ أَنَّهُ شَرٌّ عَلَى المَنْهَاجِ وَالأَذْهَانِ

❖ **الشرح:**

لقد تكاثرت الأدلة الشرعية من كلام الله وكلام خير البرية ﷺ في ذم المبتدعة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

وأخرج أبو داود برقم (٣٧٦٤): عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ»**، [وصححه الألباني في "صحيح الجامع" برقم: (٦٣٠١)، وصححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" (١٠١٩)].

وقال الفضيل بن عياض- كما في "شرح السنّة"(١٢٦-١٢٧): (من عظَّم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام، ومن تبسَّم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله عز و جل على محمد ﷺ).

قال سفيان الثوري كما في "تلبيس إبليس" (٢٧):

(من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة).

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٣٩] كُنْ سَالِكاً دَرْبَ الصَحَابَةِ كُلِّهِمْ هَلَّا رَكِبْتَ البَحْرَ بِالإِحْسَانِ

❖ الشرح:

أمر الله عباده المؤمنين أن يسيروا بسير أسلافهم واقتفاء آثارهم قال تَعَالَى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

أخرج أبو داود برقم: (٤٦٠٧) عن الْعِرْبَاضَ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال ﷺ «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ».

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في "ذم الكلام وأهله" للهروي. بإسناد رجاله ثقات. صـ(٧٤٦): (مَنْ كَانَ مِنكُمْ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ أَبَرُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقُهَا عِلْمًا، وَأَقَلُّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَتَمَسَّكُوا بِهَدْيِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ).

وَقَالَ الإمام الأَوْزَاعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ كما في ["تاريخ الإسلام" (٩/ ٤٩٠): و"الشريعة" صـ(٥٨)]، قال: (عليك بآثار من سلف وإنْ رَفَضَك الناسُ، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول).

وَقَالَ الإمام الأَوْزَاعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً كما في "تاريخ دمشق" (٣٥/ ٢٠٠): (اصبر على السنة وقف حيث وقف القوم وقل فيما قالوا وكف عما كفوا واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما يسعهم).

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٤٠] أَعْنِي بِهِ بَحْرَ العُلُومِ بِأَسْرِهَا ذَاكَ الذِي هُوَ مُثْلِجُ الوِجْدَانِ

❖ الشرح:

الواجب على طالب العلم ملازمة ما كان عليه السلف الصالح في سائر الشؤون.

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٤١] حَاذِرْ جَلِيسَ السُوءِ وَاكْتَسِ بِالتُّقَى وَاحْذر وَحَاذِرْ مَنْ لَهُ وَجْهَانِ

❖ الشرح:

اختيار الجليس في حال الطلب من المهمات الأساسية لطالب العلم، فالصاحب ساحب والطبع سرّاق، والمرء على دين خليله.

أخرج البخاري برقم: (٥٥٣٤)، ومسلم برقم: (٢٦٢٨)، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**».

قال ابن الجوزي في "صيد الخاطر" (١/٥٠٨)، فصل: (العزلة أصل كل خير) قال:

«**وعليك بالعزلة، فهي أصل كل خيرٍ، واحذر من جليس السوء، وليكن جلساؤك الكتب، والنظر في سير السلف**».

قلت، وقد قيل:

أعز مَكَانٍ فِي الدنا سَرْجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ

وقال الزرنوجي كما في "تعليم المتعلم"(١/٢١٩):

«ويحذر المذاكرة مع متعنِّت غير مستقيم الطبع، فإن الطبيعة متسرية، والأخلاق متعدية، والمجاورة مؤثرة: أي أن التعنت ينقل إلى المتعلم ويعديه ، واما اختيار الشريك فينبغي أن يختار المُجِّد الوَرِعْ وصاحب الطبع المستقيم والمتفهم، ويفر من الكسلان والمعطّل والمكثار والمفسد الفتّان».

التحلي بالغنى أمر دعت الشريعة إليه وقد أشرنا إليه قريباً.

قوله: «وَاحْذر وَحَاذِرْ مَنْ لَهُ وَجْهَانِ»:

لقد حذّر النبي ﷺ من ذي الوجهين.

أخرج الإمام مسلم برقم: (٢٦٠٥): عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **«إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ، ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ»**، [وأخرجه البخاري برقم (٢٣٤٦)].

قال القرطبي كما في "إكمال المعلم بفوائد مسلم": تحت الحديث المشار إليه: قال: «وهذا فيما ليس طريقه الإصلاح والخير بل في الباطل والكذب وتزيينه لكل طائفة عملها وتقبيحه عند الآخرى ، وذم كل واحدة عند الآخرى ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى وينقل لها الجميل عنها »اهـ.

فواجب على طالب العلم أن يكون حذراً من هذه الصفات الذميمة والأخلاق الرديئة والتي جاءت الشريعة المطهرة بذمها والبعد عنها.

لزوم السكينة حال التلقي ودحض الشبه بعلم وبصيرة

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٤٣] حُسْنُ المُعَلِّمِ أَنْ يَرُومَ سَكِينَةً فِي جَلْسَةِ الإِلْقَاءِ والتِبْيَانِ

❖ **الشرح:**

من الآداب العظيمة التي ينبغي لطالب العلم أن يراعيها مع شيخه، أن يلازم السكينة والإنصات حال التلقِّي.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مفتاح دار السعادة"(١٨٤):

وللعلم سِتّ مَرَاتِب:

١ – حسن السُّؤَال.

٢ – حسن الانصات وَالِاسْتِمَاع.

٣ – حسن الْفَهم.

٤ – الْحِفْظ.

٥ – التَّعْلِيم .

٦ – وَهِي ثَمَرَته وَهِي الْعَمَل بِهِ ومراعاة حُدُوده).

وقال الحسين بن إسماعيل كما في "الجامع للخطيب"(١/١٨):

سمعت أبي يقول: (كنا نجتمع في مجلس الإمام أحمد بن حنبل زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، خمسمائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت).

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٤٤] نَـاظِرْ بِعِلْـمٍ وَادْحَضَـنَّ لِبَاطِـلٍ إِنَّ الـلَّدُودَ مُصَـاحِبُ الخَسْـرَانِ

❖ الشرح:

المناظرة في الحق وإظهاره دل عليها الكتاب والسنّة، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقد ناظر موسى ﷺ سحرة فرعون فغلبهم بالمعجزة التي أيده الله عَزَّ وَجَلَّ بها.

وناظر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخوارج فرجع منهم ألفان.

أخرج الإمام النسائي في "الخصائص" (١٥٩) عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لما خرجت الحرورية اعتزلوا فِي دَار وَكَانُوا سِتَّة آلَاف، فَقلت لعَلي يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ: أبرد بِالصَّلَاةِ لعَلي أكلم هَؤُلَاءِ الْقَوْم. قَالَ: إِنِّي أَخَافهُم عَلَيْك. قلت: كلا.

فَلبست وترجلت وَدخلت عَلَيْهِم فِي دَار نصف النَّهَار وهم يَأْكُلُون فَقَالُوا: مرْحَبًا بك يَا ابْن عَبَّاس، فَمَا جَاءَ بك؟. قلت لَهُم: أتيتكم من عِنْد أَصْحَاب النَّبِي ﷺ الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار وَمن عِنْد ابْن عَم النَّبِي ﷺ وصهره وَعَلَيْهِم نزل الْقُرْآن فهم أعلم بتأويله مِنْكُم، وَلَيْسَ فِيكُم مِنْهُم أحد لأبلغكم مَا يَقُولُونَ وأبلغهم مَا تَقولُونَ.

فانتحى لي نفر مِنْهُم قلت: هاتوا مَا نقمتم على أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ وَابْن عَمه. قَالُوا: ثَلَاث قلت مَا هن قَالَ أما إِحْدَاهُنَّ فانه حكم الرِّجَال فِي أَمر الله عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ الله: ﴿إِن الحكم إِلَّا لله﴾ [الأَنْعَام: ٥٧]، مَا شَأْن الرِّجَال وَالْحكم؟

قلت: هَذِه وَاحِدَة.

قَالُوا: وَأما الثَّانِيَة فانه قَاتل وَلم يسب وَلم يغنم إِن كَانُوا كفَّارًا لقد حل سَبْيهمْ وَلَئِن كَانُوا مُؤمنين مَا حل سَبْيهمْ وَلَا قِتَالهمْ.

قلت: هَذِه ثِنْتَانِ فَمَا الثَّالِثَة وَذكر كلمة مَعْنَاهَا.

قَالُوا: محى نَفسه من أَمِير الْمُؤمِنِينَ فَإِن لم يكن أَمِير الْمُؤمِنِينَ فَهُوَ أَمِير الْكَافرين.

قلت: هَل عنْدكُمْ شَيْء غير هَذَا؟

قَالُوا: حَسبنَا هَذَا.

قلت لَهُم: أَرَأَيْتكُم إِن قَرَأت عَلَيْكُم من كتاب الله جلّ ثناءه وَسنة نبيه ﷺ مَا يرد قَوْلكُم أترجعون؟

قَالُوا: نعم.

قلت: أما قَوْلكُم حكم الرِّجَال فِي أَمر الله: فَإِنِّي أَقْرَأ عَلَيْكُم فِي كتاب الله أَن قد صير الله حكمه إِلَى الرِّجَال فِي ثمن ربع دِرْهَم فَأمر الله تبَارك وَتَعَالَى أَن يحكموا فِيهِ أَرَأَيْت قَول الله تبَارك وَتَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾ [المائدة:٩٥]، وَكَانَ من حكم الله أنه صيره إِلَى رجال يحكمون فِيهِ وَلَو شَاءَ يحكم فِيهِ فَجَاز من حكم الرِّجَال، أنْشدكُمْ بِاللَّه أحكم الرِّجَال فِي صَلَاح ذَات الْبَين وحقن دِمَائِهِمْ أفضل أَو فِي أرنب؟

قَالُوا: بلَى هَذَا أفضل.

وَفِي الْمَرْأَة وَزوجهَا: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا**﴾ [النساء:٣٥].

فنشدتكم بِاللَّه حكم الرِّجَال فِي صَلَاح ذَات بَينهم وحقن دِمَائِهِمْ افضل من حكمهم فِي بضع امْرَأَة خرجت من هَذِه؟

قَالُوا: نعم.

قلت: وَأما قَوْلكُم قَاتل وَلم يسب وَلم يغنم أفتسبون أمكُم عَائِشَة تستحلون مِنْهَا مَا تستحلون من غَيرهَا وَهِي أمكُم؟ فَإِن قُلْتُمْ: إِنَّا نستحل مِنْهَا مَا نستحل من غَيرهَا فقد كَفرْتُمْ، وان قُلْتُمْ: لَيست بأمنا فقد كَفرْتُمْ: ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾ [الأحزاب:٦]، فَأَنْتم بَين ضلالتين فَأتوا مِنْهَا بمخرج أفخرجت من هَذِه؟

قَالُوا: نعم.

وَأما مُحي نَفسه من أَمِير الْمُؤمنِينَ، فَأَنا آتيكم بِمَا ترْضونَ إِن نَبِي الله ﷺ يَوْم الْحُدَيْبِيَة صَالح الْمُشْركين فَقَالَ لعَلي: اكْتُبْ يَا عَليّ هَذَا مَا صَالح عَلَيْهِ مُحَمَّد رَسُول الله قَالُوا: لَو نعلم انك رَسُول الله مَا قَاتَلْنَاك فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : امح يَا عَليّ اللَّهُمَّ إنك تعلم إِنِّي رَسُول الله، امح يَا عَليّ واكتب: هَذَا مَا صَالح عَلَيْهِ مُحَمَّد بن عبد الله.

وَاللَّه لرَسُول الله ﷺ خير من عَليّ وَقد محى نَفسه وَلم يكن محوه نَفسه ذَلِك محاه من النُّبُوَّة.

أخرجت من هَذِه؟ قَالُوا: نعم.

فَرجع مِنْهُم أَلفَانِ وَخرج سَائِرهمْ فَقتلُوا على ضلالتهم قَتلهمْ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَار».اهـ. وحسنها العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند" برقم: (٦٩٤).

وأخرج ابن بطة العكبري كما في الإبانة: (٦/ ٢٨٤-٢٨٨):

حَدَّثَنَا سَلَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّمْلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مَشْكَوَيْهِ الْهَمَذَانِيُّ، قَالَ: أُدْخِلْتُ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُتَكَنِّي بِالْوَاثِقِ أَنَا وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَأَقْبَلَ بِالْمَسْأَلَةِ عَلَيَّ مِنْ بَيْنِهِمْ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي رَجُلٌ مُرَوَّعٌ وَلَا عَهْدَ لِي بِكَلَامِ الْخُلَفَاءِ مِنْ قَبْلِكَ. فَقَالَ: لَا تَرْعَ وَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ، مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقُلْتُ: «كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ»، فَقَالَ: أَشْهَدُ لَتَقُولَنَّ مَخْلُوقًا أَوْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّكَ إِنْ تَضْرِبْ عُنُقِي، فَإِنَّكَ فِي مَوْضِعِ ذَلِكَ إِنْ جَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَتَثَبَّتْ عَلَيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِمَّا أَنْ أَكُونَ عَالِمًا فَتَثْبُتَ حُجَّتِي، وَإِمَّا أَنْ أَكُونَ جَاهِلًا فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُعَلِّمَنِي لِأَنَّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَابْنُ عَمِّ نَبِيِّهِ.

فَقَالَ: أَمَا تَقْرَأُ: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾ [الفرقان: ٢].

قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْكُلِّيَّةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ خَاصٌّ أَمْ عَامٌّ؟

قَالَ: عَامٌّ. قُلْتُ: " لَا، بَلْ خَاصٌّ، قَالَ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ** : ﴿**وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [النمل:٢٣]، فَهَلْ أُوتِيَتْ مُلْكَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

فَحَذَفَنِي بِعَمُودٍ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْرِجُوهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَأُخْرِجْتُ إِلَى قُبَّةٍ قُرَيْبَةٍ مِنْهُ، فَشُدَّ عَلَيْهَا كِتَافِي، فَنَادَيْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ ضَارِبٌ عُنُقِي، وَأَنَا مُتَقَدِّمُكَ، فَاسْتَعِدَّ لِلْمَسْأَلَةِ جَوَابًا.

فَقَالَ: أَخْرِجُوا الزِّنْدِيقَ وَضَعُوهُ فِي أَضْيَقِ الْمَحَابِسِ، فَأُخْرِجْتُ إِلَى دَارِ الْعَامَّةِ، فَإِذَا أَنَا بِابْنِ أَبِي دُؤَادٍ يُنَاظِرُ النَّاسَ عَلَى خَلْقِ الْقُرْآنِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ قَالَ: يَا خُرَّمِيُّ قُلْتُ: «أَنْتَ وَالَّذِينَ مَعَكَ وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ».

فَحَبَسَنِي فِي سِجْنِ بِبَغْدَادَ يُقَالُ لَهُ الْمُطَبَّقُ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ رُقْعَةً يُشَجِّعُونَنِي وَيُثَبِّتُونَنِي عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ، فَقَرَأْتُ مَا فِيهَا، فَإِذَا فِيهَا:

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ وَاهْجُرْ كُلَّ مُبْتَدَعٍ ... وَكُلَّ غَاوٍ إِلَى الْأَهْوَاءِ مَيَّالِ
وَلَا تَمِيلَنَّ يَا هَذَا إِلَى بِدَعٍ ... يَضِلُّ أَصْحَابُهَا بِالْقِيلِ وَالْقَالِ
إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ ... لَيْسَ الْقُرْآنُ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بَالِ
لَوْ أَنَّهُ كَانَ مَخْلُوقًا لَصَيَّرَهُ ... رَيْبُ الزَّمَانِ إِلَى مَوْتٍ وَإِبْطَالِ
وَكَيْفَ يَبْطُلُ مَا لَا شَيْءَ يُبْطِلُهُ ... أَمْ كَيْفَ يَبْلَى كَلَامُ الْخَالِقِ الْعَالِي
وَهَلْ يُضِيفُ كَلَامَ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ ... إِلَى الْبِلَى غَيْرُ ضُلَّالٍ وَجُهَّالِ
فَلَا تَقُلْ بِالَّذِي قَالُوا وَإِنْ سَفِهُوا ... وَأَوْثَقُوكَ بِأَقْيَادٍ وَأَغْلَالِ
أَلَمْ تَرَ الْعَالِمَ الصَّبَّارَ حَيْثُ بُلِيَ ... بِالسَّوْطِ هَلْ زَالَ عَنْ حَالٍ إِلَى حَالِ
فَاصْبِرْ عَلَى كُلِّ مَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ ... فَالصَّبْرُ سِرْبَالُهُ مِنْ خَيْرِ سِرْبَالِ
يَا صَاحِبَ السِّجْنِ فَكِّرْ فِيمَ تَحْسِبُهُ ... أُقَاتِلُ هُوَ أَمْ عَوْنٌ لِقَتَّالِ
أَمْ هَلْ أَتَيْتَ بِهِ رَأْسًا لِرَافِضَةٍ ... يَرَى الْخُرُوجَ لَهُمْ جَهْلًا عَلَى الْوَالِي
أَمْ هَلْ أُصِيبَ عَلَى خَمْرٍ وَمِعْزَفَةٍ ... يُصَرِّفُ الْكَأْسَ فِيهَا كُلَّ ضَلَّالِ
مَا هَكَذَا هُوَ بَلْ لَكِنَّهُ وَرِعٌ ... عَفٌّ عَفِيفٌ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْمَالِ

ثُمَّ ذَكَرَنِي بَعْدَ أَيَّامٍ وَأَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَأَوْقَفَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: عَسَاكَ مُقِيمًا عَلَى الْكَلَامِ الَّذِي كُنْتُ سَمِعْتُهُ مِنْكَ؟

فَقُلْتُ: «وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي لَأَدْعُو رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي لَيْلِي وَنَهَارِي أَلَّا يُمِيتَنِي إِلَّا عَلَى مَا كُنْتَ سَمِعْتَهُ مِنِّي» قَالَ: أُرَاكَ مُتَمَسِّكًا قُلْتُ: لَيْسَ هُوَ شَيْءٌ قُلْتُهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ لَقِيتُ فِيهِ الْعُلَمَاءَ بِمَكَّةَ، وَالْمَدِينَةِ، وَالْكُوفَةِ، وَالْبَصْرَةِ، وَالشَّامِ، وَالثُّغُورِ، فَرَأَيْتُهُمْ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

فَقَالَ لِي: وَمَا السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ؟

قُلْتُ: سَأَلْتُ عَنْهَا الْعُلَمَاءَ فَكُلٌّ يُخْبِرُ وَيَقُولُ: إِنَّ صِفَةَ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ مُخْلِصًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ، وَيَشْهَدُ الْعَبْدُ عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْ لِسَانِهِ وَعَقَدَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللَّهِ، وَيَعْلَمُ الْعَبْدُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَلِمَ مِنْ خَلْقِهِ مَا هُمْ فَاعِلُونَ، وَمَا هُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.

وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ خَلْفَ كُلِّ إِمَامٍ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَصَلَاةُ الْمَكْتُوبَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُقَدِّمَ وَقْتًا أَوْ تُؤَخِّرَ وَقْتًا، وَأَنْ نَشْهَدَ لِلْعَشَرَةِ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ بِالْجَنَّةِ، وَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ، وَإِيقَاعُ الطَّلَاقِ إِذَا جَرَى كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَالْمَسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ لِلْمُسَافِرِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَلِلْمُقِيمِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالتَّقْصِيرُ فِي السَّفَرِ إِذَا سَافَرَ سِتَّةَ عَشَرَ فَرْسَخًا بِالْهَاشِمِيِّ - ثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ مِيلًا - وَتَقْدِيمُ الْإِفْطَارِ وَتَأْخِيرُ السَّحُورِ، وَتَرْكِيبُ الْيَمِينِ عَلَى الشِّمَالِ فِي الصَّلَاةِ، وَالْجَهْرُ بِآمِينَ، وَإِخْفَاءُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وَأَنْ تَقُولَ بِلِسَانِكَ وَتَعْلَمَ يَقِينًا بِقَلْبِكَ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَالْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْرِجُ أَهْلَ الْكَبَائِرِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِيهَا إِلَّا مُشْرِكٌ، وَأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِأَبْصَارِهِمْ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَنَّ الْأَرْضَ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا مِنِّي أَمَرَ بِي فَقَلَعَ لِي أَرْبَعَةَ أَضْرَاسٍ، وَقَالَ: أَخْرِجُوهُ عَنِّي لَا يُفْسِدُ عَلَيَّ مَا أَنَا فِيهِ، فَأُخْرِجْتُ فَلَقِيتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فَسَأَلَنِي عَمَّا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ الْخَلِيفَةِ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: لَا نَسِيَ اللَّهُ لَكَ هَذَا الْمَقَامَ حِينَ تَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: يَنْبَغِي أَنْ نَكْتُبَ هَذَا عَلَى أَبْوَابِ مَسَاجِدِنَا، وَنُعَلِّمَهُ أَهْلَنَا وَأَوْلَادَنَا، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى ابْنِهِ صَالِحٍ، فَقَالَ: اكْتُبْ هَذَا الْحَدِيثَ وَاجْعَلْهُ فِي رَقٍّ أَبْيَضَ وَاحْتَفِظْ بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ خَيْرِ حَدِيثٍ كَتَبْتَهُ، إِذَا لَقِيتَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَلْقَاهُ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ». اهـ

■ والمناظرة التي يتوصل بها إلى معرفة الحق وإظهاره على غيره محمودة، وأما إذا كانت المناظرة لا يتوصل بها إلى الحق وإنما هي جدل محض، ومخاصمة بالباطل، فيكف عنها، وقد نهى السلف عنها.

أخرج الإمام البخاري في "صحيحه" برقم: (١٦١١): عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أن الزُّبَيْرَ بْنِ عَرَبِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْحَجَرِ، قَالَ:**

رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ "، فَقَالَ رَجُلٌ: أَرَأَيْتَ إِنْ زُحِمْتُ؟ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اجْعَلْ " أَرَأَيْتَ " بِالْيَمَنِ!! رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ».

وأخرج البخاري في صحيحه برقم (٥٩٩٤):

(عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، قَالَ: كُنْتُ شَاهِدًا لِابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ البَعُوضِ، فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ، قَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ البَعُوضِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا).

قوله: (إِنَّ اللَّدُودَ مُصَاحِبُ الخَسْرَانِ):

أخرج البخاري برقم: (٢٤٥٧)، مسلم برقم: (٢٦٦٨): عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ».

والألد: شديد الخصومة.

قلت: من تأمل في الخصومة فإن مآلها الخسارة.

ويدل ذلك على حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه أحمد برقم: (٥٣٨٥)، فَقَالَ: قال رَسُولَ اللهِ ﷺ: « مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَدْ ضَادَّ اللهَ أَمْرَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَلَيْسَ بِالدِّينَارِ وَلَا بِالدِّرْهَمِ، وَلَكِنَّهَا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ». [الحديث صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٤٣٧)].

وجوب العمل بالعلم والرحلة في طلبه

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٤٥] كُنْ عَامِلًا بِعُلُومِ دِينِكَ كُلِّهَا حَتَّى تَفُوزَ بِرَوضَةٍ وَجِنَانِ

❖ الشرح:

لقد تكاثرت الأدلة الشرعية من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ في ذمّ من لم يعمل بعلمه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣].

وقال تَعَالَى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:٥].

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وأخرج البخاري برقم: (٣٢٦٧)، ومسلم برقم: (٢٩٨٩)، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قَالَ: رَسُولَ اللهِ ﷺ: **« يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ »**.(متفق عليه).

وأخرج ابن حبان كما في "التعليقات الحسان" صـ(٥٣)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِضَ مِنْ نَارٍ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ فَقَالَ الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ**

بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يعقلون» [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٩١)، والصحيح المسند برقم: (٨١)].

قال العلامة ابن الوزير كما في "العواصم والقواصم" (٣٠٢/٢):

وقد أجمع أهل العلم والعقل على ذم العمل بغير العلم، وعلى أن ثمرة العلم وسبب شَرَفِه وفضله هو العمل به.

وكان يحيى بن معاذ ينشد في مجالسه كما في لطائف المعارف(١٧/١):

مواعظ الواعظ لن تقبـــلا حتى يعيهـــا قلبـــه أولا

يا قوم من أظلم مـن واعظ قـد خالف ما قاله في الملا

أظهر بين الناس إحسانـــه وبـــارز الرحمن لما خـــلا

فالعالم الذي لا يعمل بعلمه كمثل المصباح يضيء للناس ويحرق نفسه.

وقال أبو العتاهية:

وَبَّخْت غَـيْرَك بِـالْعَمَى فَأَفَدْتَـهُ بَصَـرًا وَأَنْـتَ مُحْسِـنٌ لِعَمَاكَـا

وَفَتِيلَـةُ الْمِصْـبَاحِ تَحْـرِقُ نَفْسَـهَا وَتُضِـيءُ لِلْأَعْشَى وَأَنْتَ كَـذَاكَا

فيجب على طالب العلم أن يكون ذروة في العمل والعبادة، فثمرة العلم العمل به.

قوله: (حَتَى تَفُوزَ بِرَوضةٍ وَجِنَانِ)، إشارة إلى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣].

قال الناظم حفظه الله:

[٤٦] نَأْيـاً بِنَفْسِـكَ عَـنْ عُقُـوقٍ إِنَّـهُ سَـــيفٌ عَلَى الأَرْوَاحِ وَالأَبْـــدَانِ

❖ الشرح:

من أعظم أسباب بركة طالب العلم وتحصيله أن يعرف الفضل لشيخه، وإلاّ يعق من أحسن إليه، أو علمّه، بل يجب عليه أن يذكر شيخه بالجميل، ولا يشكر الله من لا يشكر الناس، ومن أتى إليكم بمعروف فكافئوه.

أخرج الحاكم كما في "المستدرك"(٤٢٣/٣)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٦٠/٢) -بإسناد صحيح-: وصححه ابن حجر كما في الإصابة(٥٤٣/١)، عن الشعبي قال: أَمْسَكَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرِكَابِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، فَقَالَ: «**أَتُمْسِكُ لِي وَأَنْتَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**» ؟ قَالَ: «**إِنَّا هَكَذَا نَصْنَعُ بِالْعُلَمَاءِ**».

وقال الحافظ ابن عبد البر كما في "الجامع للآداب" صـ(٧):

«وحقيق على من جالس عالماً أن ينظر إليه بعين الإجلال، وينصت له عند المقال، وأن تكون مراجعته له تفهماً لا تعنتاً، وبقدر إجلال الطالب للعالم ينتفع بما يفيد من علمه».

وقَالَ رَبِيعَةُ بن عبد الرحمن كما في "المعرفة والتاريخ" (٦٦٩/١):

«كَانَ يُقَالُ: إِنَّمَا النَّاسُ مَعَ عُلَمَائِهِمْ مِثْلُ الصِّبْيَانِ فِي حُجُورِ مَنْ يُرَبِّيهِمْ».

وقال يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ كما في "الانتقاء" لابن عبد البر(٧٢):

«أَنَا أَدْعُو اللَّهَ لِلشَّافِعِيِّ حَتَّى فِي صلاتي».

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مجموع الفتاوى"(١٧/٢٨):

«وَعَلَى الْمُعَلِّمِ أَنْ يَنْصَحَ لِلْمُتَعَلِّمِ وَيَجْتَهِدَ فِي تَعْلِيمِهِ وَعَلَى الْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَعْرِفَ حُرْمَةَ أُسْتَاذِهِ وَيَشْكُرَ إحْسَانَهُ إلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ وَلَا يَجْحَدَ حَقَّهُ وَلَا يُنْكِرَ مَعْرُوفَهُ».

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٤٧] مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا رِحْلَةٍ فَلْيَرْحَلَن لِسَمَاعِ عِلْمِ العَالِمِ الرَبّانِ

❖ الشرح:

للرحلة أهميتها في تحصيل العلم فمن تأمل في معاناة العلماء المتقدمين وما كابدوه من الصعاب لأجل الرحلة لهانت عليه كل شدة.

فقد قطعوا الفيافي والقفار وتركوا البلاد والأولاد، وهجروا اللذات من أجل الرحلة في تحصيل الحديث النبوي، فقد رحل موسى ﷺ إلى الخضر عَلَيهِ السَّلام.

وقال الإمام الذهبي كما في "السير"(١٣/٢٩٣): وَنَقَلَ بَعْضُ العُلَمَاءِ مِنْ كِتَابِ لِحَفِيْدِ بَقِيٍّ؛ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَحْمَدَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ:

رَحَل أَبِي مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَغْدَادَ، وَكَانَ رَجُلاً بُغْيَتُهُ مُلاَقَاةُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ.

«قَالَ: فَلَمَّا قَرُبْتُ بَلَغَتْنِي المِحْنَةُ، وَأَنَّهُ مَمْنُوْعٌ، فَاغتَمَمْتُ غَمّاً شَدِيْداً، فَاحتَلْتُ بَغْدَادَ، وَاكتَرَيْتُ بَيْتاً فِي فُنْدُقٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ الجَامِعَ وَأَنَا أُرِيْدُ أَنْ أَجْلِسَ إِلَى النَّاسِ، فدُفِعْتُ إِلَى حَلْقَةٍ نَبِيْلَةٍ، فَإِذَا بِرَجُلٍ يَتَكَلَّمُ فِي الرِّجَالِ، فَقِيْلَ لِي: هَذَا يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ.

فَفُرِجَتْ لِي فُرْجَةً، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا زَكَرِيَّا: - رَحِمَكَ اللهُ - رَجُلٌ غَرِيْبٌ نَاءٍ عَنْ وَطَنِهِ، يُحِبُّ السُّؤَالَ، فَلاَ تَسْتَجْفِنِي.

فَقَالَ: قُلْ.

فَسَأَلْتُ عَنْ بَعْضِ مَنْ لَقِيْتُهُ، فَبَعْضاً زَكَّى، وَبَعْضاً جَرَحَ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ هِشَامِ بنِ عَمَّارٍ.

فَقَالَ لِي: أَبُو الوَلِيْدِ، صَاحِبُ صَلاَةِ دِمَشْقَ، ثِقَةٌ، وَفَوْق الثِّقَةِ، لَوْ كَانَ تَحْتَ رِدَائِهِ كِبْرٌ، أَوْ مُتَقَلِّداً كِبْراً، مَا ضَرَّهُ شَيْئاً لِخَيْرِهِ وَفَضْلِهِ، فَصَاحَ أَصْحَابُ الحَلْقَةِ: يَكْفِيْكَ - **رَحِمَكَ اللهُ** - غَيْرُكَ لَهُ سُؤَالٌ.

فَقُلْتُ: وَأَنَا وَاقِفٌ عَلَى قَدَمٍ: اكشِفْ عَنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ: أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، فَنَظَرَ إِلَيَّ كَالمُتَعَجِّبِ، فَقَالَ لِي: وَمِثْلُنَا، نَحْنُ نَكْشفُ عَنْ أَحْمَدَ؟! ذَاكَ إِمَامُ المُسْلِمِيْنَ، وَخَيْرُهُم وَفَاضِلُهُم.

فَخَرَجْتُ أَستَدِلُّ عَلَى مَنْزِلِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، فَدُلِلْتُ عَلَيْهِ، فَقَرَعْتُ بَابَهُ، فَخَرَجَ إِلَيَّ، **فَقُلْتُ:** يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ رَجُلٌ غَرِيْبٌ، نَائِي الدَّارِ، هَذَا أَوَّلُ دُخُوْلِي هَذَا البَلَد، وَأَنَا طَالِبُ حَدِيْثٍ، وَمُقَيِّدُ سُنَّةٍ، وَلَمْ تَكُنْ رِحْلَتِي إِلاَّ إِلَيْكَ.

فَقَالَ: ادْخُلِ الأَصطوَانَ وَلاَ يَقَعُ عَلَيْكَ عَيْنٌ.

فَدَخَلْتُ، فَقَالَ لِي: وَأَيْنَ مَوْضِعُكَ؟

قُلْتُ: المَغْرِبُ الأَقْصَى.

فَقَالَ: إِفْرِيْقِيَّة؟

قُلْتُ: أَبْعَدُ مِنْ إِفْرِيْقِيَّةَ، أَجُوْزُ مِنْ بَلَدِي البَحْرَ إِلَى إِفْرِيْقِيَّةَ، بَلَدِي الأَنْدَلُس.

قَالَ: إِنَّ مَوْضِعَكَ لَبَعِيْدٌ، وَمَا كَانَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُحْسِنَ عَوْنَ مِثْلِكَ، غَيْرَ أَنِّي مُمْتَحَنٌ بِمَا لَعَلَّهُ قَدْ بَلَغَكَ.

فَقُلْتُ: بَلَى، قَدْ بَلَغَنِي، وَهَذَا أَوَّلُ دُخُولِي، وَأَنَا مَجْهُوْلُ العَيْنِ عِنْدَكُم، فَإِنْ أَذِنْتَ لِي أَنْ آتِيَ كُلَّ يَوْمٍ فِي زَيِّ السُّؤَّالِ، فَأَقُولُ عِنْدَ البَابِ مَا يَقُوْلُهُ السُّؤَّالُ، فَتَخْرُجُ إِلى هَذَا المَوْضِعِ، فَلَو لَمْ تُحَدِّثْنِي كُلَّ يَوْمٍ إِلاَّ بِحَدِيْثٍ وَاحِدٍ، لَكَانَ لِي فِيْهِ كِفَايَةً.

فَقَالَ لِي: نَعَمْ، عَلَى شَرْطِ أَنْ لَا تَظْهَرَ فِي الخَلْقِ، وَلا عِنْدَ المُحَدِّثِيْنَ.

فَقُلْتُ: لَكَ شَرْطُكَ، فَكُنْتُ آخُذُ عَصاً بِيَدِي، وَأَلُفُّ رَأْسِي بِخِرْقَةٍ مُدَنَّسَةٍ، وَآتِي بَابَهُ فَأَصِيْحُ: الأَجْرَ - **رَحِمَكَ اللهُ** - وَالسُّؤَّالُ هُنَاكَ كَذَلِكَ، فَيَخْرُجُ إِلَيَّ، وَيُغْلِقُ، وَيُحَدِّثُنِي بِالحَدِيْثَيْنِ وَالثَّلاثَةِ وَالأَكْثَر، فَالْتَزَمْتُ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ المُمْتَحِنُ لَهُ». أ.هـ.

قال سعيد بن المسيب كما في ["طبقات ابن سعد"(٥/ ١٢٠) و"المعرفة والتاريخ"(١/ ٤٦٨)]:

«إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والأيام».

وأخرج أبو داود في سننه برقم: (٢٧٥٢)، بإسناده عن مَكْحُولٍ ، أنه قال:

«كُنْتُ عَبْدًا بِمِصْرَ لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي هُذَيْلٍ فَأَعْتَقَتْنِي، فَمَا خَرَجْتُ مِنْ مِصْرَ وَبِهَا عِلْمٌ إِلَّا حَوَيْتُ عَلَيْهِ فِيمَا أُرَى، ثُمَّ أَتَيْتُ الْحِجَازَ فَمَا خَرَجْتُ مِنْهَا وَبِهَا عِلْمٌ إِلَّا حَوَيْتُ عَلَيْهِ فِيمَا أُرَى، ثُمَّ أَتَيْتُ الْعِرَاقَ فَمَا خَرَجْتُ مِنْهَا وَبِهَا عِلْمٌ إِلَّا حَوَيْتُ عَلَيْهِ فِيمَا أُرَى، ثُمَّ أَتَيْتُ الشَّامَ فَغَرْبَلْتُهَا كُلَّ ذَلِكَ أَسْأَلُ عَنِ النَّفَلِ فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا يُخْبِرُنِي فِيهِ بِشَيْءٍ، حَتَّى لَقِيتُ شَيْخًا يُقَالُ لَه زِيَادُ بْنُ جَارِيَةَ التَّمِيمِيُّ، فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ سَمِعْتَ فِي النَّفَلِ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ حَبِيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيَّ يَقُولُ: «شَهِدْتُ النَّبِيَّ ﷺ نَفَّلَ الرُّبُعَ فِي الْبَدْأَةِ، وَالثُّلُثَ فِي الرَّجْعَةِ»، [الحديث في الصحيح المسند برقم (٢٩٠)].

وأخرج الإمام مسلم بإسناده إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٣٠٢٣):

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: اخْتَلَفَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]، فَرَحَلْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ آخِرَ مَا أُنْزِلَ، ثُمَّ مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ».

وأخرج الإمام أحمد بإسناد حسن لغيره، برقم: (١٦٠٤٢): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «يَقُولُ: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ، فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَنِي، وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ، أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: " لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ». [الحديث حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٦٠٨)].

قال الإمام الذهبي كما في تذكرة الحفاظ (٣/٩٧٣) -في ترجمة محمد بن إبراهيم الأصبهاني ابن المقري- أنه قال: طفت الشرق والغرب أربع مرات.

وقال القاضي عياض كما "ترتيب المدارك وتقريب المسالك" (٣/ ٢٥٠) -في ترجمة عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري-:

أنخت بباب مالك سبع عشرة سنة، ما بعت فيها ولا اشتريت شيئاً. قال: فبينما انا عنده إذ أقبل حاج مصر، فإذا شاب متلثم دخل علينا فسلم على مالك. فقال أفيكم ابن القاسم؟ فأشير إلي فاقبل يقبل عيني ووجدت منه ريحاً طيبة، فإذا هي رائحة الولد وإذا هو ابني، وكان ترك أمه به حاملاً، وكانت ابنة عمه، وكان اسمع عبد الله، وكان خبر أمه عند سفره لطول إقامته فاختارا البقاء، ولم يذكر الناس عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم هذا في ولده، وسنذكرهم. ولعله مات شابًا قبله، والله أعلم.

* * *

الاهتمام بحفظ العلم سبب لنيله ودفع لشبه المبطلين

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٤٨] كَرِّسْ جُهُودَكَ فِي المُتُونِ وَحِفْظِهَا إِنَّ العُلُومَ تُنَالُ بِالإِتْقَانِ

❖ الشرح:

إن اللبنة الأولى في بناء الطالب والركيزة العظمى في ثباته وتحصيله إتقانه للمحفوظات، وإقباله على المتون.

وأخرج مسلم برقم: (٢٨٩٢)، عن عَمْرَو بْنِ أَخْطَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ» فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا.

وقَالَ لَنَا الْأَعْمَشُ كما في "الجامع لأخلاق الراوي" (٢/٢٤٨)، رقم: (١٧٥٠): (احْفَظُوا مَا جَمَعْتُمْ فَإِنَّ الَّذِي يَجْمَعُ وَلَا يَحْفَظُ كَالرَّجُلِ كَانَ جَالِسًا عَلَى خِوَانٍ يَأْخُذُ لُقْمَةً لُقْمَةً فَيُنْبِذُهَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَمَتَى تَرَاهُ يَشْبَعُ).

قال عبدُ اللهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ كما في "جامعْ بيان العلم وفضله" (١/٤٧٦):

«أَوَّلُ الْعِلْمِ النِّيَّةُ ثُمَّ الِاسْتِمَاعُ ثُمَّ الْفَهْمُ ثُمَّ الْحِفْظُ ثُمَّ الْعَمَلُ ثُمَّ النَّشْرُ»

وقال العلامة الرحبي – كما في "بغية الباحث عن جمل الموارث":

والثلثان وهما التمام فاحفظ فكل حافظ إمام

وقال الناظم:

ينشى الصغير على ما كان والده إن الأصول عليها تنبت الشجر

ولا يعظّم قدر الطالب ونفعه إلا إذا كان حافظاً متقناً ولا ينطلق إلا بإتقان المحفوظات.

وَسَأَلَ مُهَنَّا أَحْمَدَ مَا الْحِفْظُ ؟ قَالَ: «الْإِتْقَانُ هُوَ الْحِفْظُ».

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: «الْحِفْظُ الْإِتْقَانُ».[كما في "الآداب الشرعية" (٢/ ١١٩)].

قلت: ومن الأوقات المباركة التي يحفظ فيها العلم:

وقت السحور والبكور.

قال إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ كما في "الجامع لأخلاق الراوي والسامع" ٢/ ٣٢١):

«إِذَا هَمَمْتَ أَنْ تَحْفَظَ شَيْئًا فَنَمْ وَقُمْ عِنْدَ السَّحَرِ فَأَسْرِجْ وَانْظُرْ فِيهِ فَإِنَّكَ لَا تَنْسَاهُ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " وَيَنْبَغِي لِمَنْ طَالِعَ فِي كِتَابِهِ أَنْ يَجْهَرَ بِقِرَاءَتِهِ قَدْرَ مَا يُسْمِعُهُ».

قال الناظم حفظه الله:

[٤٩] وَكَذَا مُرَاجَعَةِ الْمُتُونِ وَضَبْطِهَا إِنَّ الْقُلُوبَ تُصَابُ بِالنِّسْيَانِ

❖ الشرح:

يدل على هذا ما أخرجه البخاري برقم: (٥٠٣٣)، ومسلم برقم: (٧٩١)، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**».

قال ابن عبد البر كما في "التمهيد"(٣/ ٢٠٢): «وَإِذَا كَانَ الْقُرْآنُ الْمُيَسَّرُ لِلذِّكْرِ كَالْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ مَنْ تَعَاهَدَهَا أَمْسَكَهَا فَكَيْفَ بِسَائِرِ الْعُلُومِ».

وقال الماوردي في "أدب الدنيا والدين" (١/ ٥٢): وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «مَنْ أَكْثَرَ الْمُذَاكَرَةَ بِالْعِلْمِ لَمْ يَنْسَ مَا عَلِمَ وَاسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمْ».

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا لَمْ يُذَاكِرْ ذُو الْعُلُــومِ بِعِلْمِــهِ ... وَلَمْ يَسْتَفِدْ عِلْمًا نَسِيَ مَا تَعَلَّـمَا

فَكَمْ جَامِعٍ لِلْكُتْبِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ ... يَزِيدُ مَعَ الْأَيَّامِ فِي جَمْعِهِ عَمَى

وقال الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«آفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيَانُ وَقِلَّةُ الْمُذَاكَرَةِ». ["الآداب الشرعية" (٢/ ١٢٠)].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في "الجامع للخطيب" صـ(١/١٣٦)، قَالَ:

«كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ، فَإِذَا قُمْنَا تَذَاكَرْنَاهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَتَّى نَحْفَظَهُ».

قال الناظم حفظه الله:

[٥٠] افْــزَعْ إِلَى الــبَرِّ الــرَّحِيمِ لِنَيْلِهَــا ... يَحْفَظْــكَ مِــنْ شَرٍّ وَمِــنْ عُــدْوَانِ

❖ الشرح:

اعلم يا طالب العلم أن كل ما نلته من العلوم، وما ظفرت به من الفهوم ليس بذكاء، كل ذلك بإعانة منه سبحانه وتعالى وتوفيقه، فالله **عَزَّ وَجَلَّ** به يستعان، ومنه التمكين والثبات.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٤]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف:٢١، ٥٦]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٤].

فينبغي للعبد أن ينكسر بين يدي ربه، وأن يخبت له سبحانه ويفزع إليه في قضاء حوائجه.

فهذا الإمام ابن تيمية كان إذا استعصى عليه تفسير آية من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ يفزع إلى ربه ويقول اللّٰهم يا معلم آدم وإبراهيم علمني، و يا مفهم سليمان فهمني، فيجد الفتح في ذلك. [كما في "فتاوى ابن تيمية" (٢٤/ ٣٨)].

فلا يمَلُّ الطالبُ إذا لم يجد فتحًا في بعض العلوم بل يجتهد ويلح على ربه، فقد استعصى علم العروض على الأصمعي، ولم يفتح الله عَزَّ وَجَلَّ علم النحو على أبي الحسن القطيعي، ويحيى بن زياد الفراء وأبي حامد الغزالي، وهؤلاء من العلماء المشاهير.

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٥١] فَادْعُوهُ دَوْماً آيباً وَمُطَاوِعاً لِصَلَاحِ قَلْبٍ سَائِرَ الأَزْمَانِ

❖الشرح:

حَرِيٌّ بطالب العلم أن يكون أوابا إلى ربه جل ثناؤه، ملازما للدعاء فالقلوب ضعيفة، والشبه خطافة.

أخرج الإمام مسلم برقم (٢٦٥٤): عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **«إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»**.

وكان من دعائه ﷺ كما عند أبي داود برقم (١٥١٠): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**وَاهْدِ قَلْبِي**». [صححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم (٦٠٦)].

قال الآجري في "الشريعة" (١/ ٣٩٣): فَمَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بَابَ الدُّعَاءِ، وَالْتَجَأَ إِلَى مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ، وَخَافَ عَلَى دِينِهِ، وَحَفِظَ لِسَانَهُ، وَعَرَفَ زَمَانَهُ،

وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْوَاضِحَةَ السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، وَلَمْ يَتَلَوَّنْ فِي دِينِهِ، وَعَبَدَ رَبَّهُ تَعَالَى، فَتَرَكَ الْخَوْضَ فِي الْفِتْنَةِ، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ يَفْتَضِحُ عِنْدَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ.

قال الناظم حفظه الله:

[٥٢] كُنْ أَمْنَةً فِي ذَا التَحَمُّلِ وَالأَدَا خُذْهَا أَخِي بِأَمَانَةٍ وَأَمَانِ

❖ الشرح:

لقد حثّ النبي ﷺ على الأمانة بجميع صورها وأشكالها، أخرج الإمام البيهقي كما في "شعب الإيمان" برقم (٥٢٥٨):

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ الْحَدِيثِ، وَحُسْنُ الْخَلِيقَةِ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ**». [الحديث صححه الألباني كما في "المشكاة" برقم (٥٢٢٢)].

وأخرج أبو داود برقم (٤٨٦٨): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ**». [الحديث صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم (١٠٩٠)].

وقد كان السلف يشترطون العدلة والأمانة في تحمّل الحديث وأدائه.

ففي "مقدمة صحيح مسلم" بإسناد صحيح برقم: (٧٣) عن سَلَّامِ بْنِ أَبِي مُطِيعٍ، يَقُولُ: بَلَغَ أَيُّوبَ أَنِّي آتِي عَمْرًا فَأَقْبَلَ عَلَيَّ يَوْمًا، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَ رَجُلًا لَا تَأْمَنُهُ عَلَى دِينِهِ، كَيْفَ تَأْمَنُهُ عَلَى الْحَدِيثِ؟**».

وبرقم (٧٥) من "مقدمة صحيح مسلم"، عن عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى شُعْبَةَ أَسْأَلُهُ عَنْ أَبِي شَيْبَةَ قَاضِي وَاسِطَ، فَكَتَبَ إِلَيَّ: «**لَا تَكْتُبْ عَنْهُ شَيْئًا**».

وبرقم (٣٣)، من "مقدمة صحيح مسلم" بإسناد صحيح عن عَلِيِّ بْنِ شَقِيقٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهُ بْنَ الْمُبَارَكِ، يَقُولُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ: «**دَعُوا حَدِيثَ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَسُبُّ السَّلَفَ**».

قال الناظم حفظه الله:

[٥٣] كُنْ صَائِناً لِلُبِّ مُحْتَفِظاً بِهِ ... مِنْ شَرِ كُلِّ مُضَلِّلِ فَتَانِ

❖ الشرح:

المحافظة على سلامة القلب من الزيغ أمرٌ حثّ الشارع عليه، ورغّب فيه، إذ أنّ القلوب ضعيفة وتنتابها الغفلة، لذا حذّر الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه ﷺ بالإعراض عمن يخوض في آيات الله بغير حق.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال الإمام الشوكاني كما في "فتح القدير"(٢/١٢٢):

«وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مَوْعِظَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ يَتَسَمَّحُ بِمُجَالَسَةِ الْمُبْتَدِعَةِ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ كَلَامَ اللَّهِ وَيَتَلَاعَبُونَ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَيَرُدُّونَ ذَلِكَ إِلَى أَهْوَائِهِمُ الْمُضِلَّةِ وَبِدَعِهِمُ الْفَاسِدَةِ، فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ وَيُغَيِّرْ مَا هُمْ فِيهِ فَأَقَلُّ الْأَحْوَالِ أَنْ يَتْرُكَ مُجَالَسَتَهُمْ، وَذَلِكَ يَسِيرٌ عَلَيْهِ غَيْرُ عَسِيرٍ. وَقَدْ يَجْعَلُونَ حُضُورَهُ مَعَهُمْ مَعَ تَنَزُّهِهِ عَمَّا

يَتَلَبَّسُونَ بِهِ شُبْهَةً يُشَبِّهُونَ بِهَا عَلَى الْعَامَّةِ، فَيَكُونُ فِي حُضُورِهِ مَفْسَدَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى مُجَرَّدِ سَمَاعِ الْمُنْكَرِ.

وَقَدْ شَاهَدْنَا مِنْ هَذِهِ الْمَجَالِسِ الْمَلْعُونَةِ مَا لَا يَأْتِي عَلَيْهِ الْحَصْرُ، وَقُمْنَا فِي نُصْرَةِ الْحَقِّ وَدَفْعِ الْبَاطِلِ بِمَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ، وَبَلَغَتْ إِلَيْهِ طَاقَتُنَا، وَمَنْ عَرَفَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْمُطَهَّرَةَ حَقَّ مَعْرِفَتِهَا عَلِمَ أَنْ مُجَالَسَةَ أَهْلِ الْبِدَعِ الْمُضِلَّةِ فِيهَا مِنَ الْمَفْسَدَةِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا فِي مُجَالَسَةِ مَنْ يَعْصِي اللَّهَ بِفِعْلِ شَيْءٍ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَلَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ غَيْرَ رَاسِخِ الْقَدَمِ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. فَإِنَّهُ رُبَّمَا يَتَّفِقُ عَلَيْهِ مِنْ كَذِبَاتِهِمْ وَهَذَيَانِهِمْ مَا هُوَ مِنَ الْبُطْلَانِ بِأَوْضَحِ مَكَانٍ، فَيَنْقَدِحُ فِي قَلْبِهِ، مَا يَصْعُبُ عِلَاجُهُ وَيَعْسُرُ دَفْعُهُ فَيَعْمَلُ بِذَلِكَ مُدَّةَ عُمْرِهِ وَيَلْقَى اللَّهَ بِهِ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ من الحق وهو الْبَاطِلِ وَأَنْكَرِ الْمُنْكَرِ.

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾ [هود: ١١٣].

قال القرطبي كما في "تفسيره"(٩/١٠٨):

الصَّحِيحُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ، وَأَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى هِجْرَانِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَغَيْرِهِمْ، فَإِنَّ صُحْبَتَهُمْ كُفْرٌ أَوْ مَعْصِيَةٌ، إِذِ الصُّحْبَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا عَنْ مَوَدَّةٍ».

قال ابن بطة كما في "الإبانة" (١/ ٣٩٠):

«اعْلَمُوا إِخْوَانِي أَنِّي فَكَّرْتُ فِي السَّبَبِ الَّذِي أَخْرَجَ أَقْوَامًا مِنَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَاضْطَرَّهُمْ إِلَى الْبِدْعَةِ وَالشَّنَاعَةِ، وَفَتَحَ بَابَ الْبَلِيَّةِ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ وَحَجَبَ نُورَ الْحَقِّ عَنْ بَصِيرَتِهِمْ، فَوَجَدْتُ ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الْبَحْثُ وَالتَّنْقِيرُ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ عَمَّا لَا يُغْنِي، وَلَا يَضُرُّ الْعَاقِلَ جَهْلُهُ، وَلَا يَنْفَعُ الْمُؤْمِنَ فَهْمُهُ.

وَالْآخَرُ: مُجَالَسَةُ مَنْ لَا تُؤْمَنُ فِتْنَتُهُ، وَتُفْسِدُ الْقُلُوبَ صُحْبَتُهُ». اهـ

❁ **قال الناظم حفظه الله:**

[٥٤] أَعْنِي بِهِ البِدْعِيَّ بَاطِرَ نِعْمَةٍ أُشْدُدْ عَلَيْهِ القَوْلَ بِالبُرْهَانِ

❖ **الشرح:**

نعم: من تأمل في أهل البدع والأهواء وما هم عليه من الباطل فإنهم لما تركوا الحق وعزفوا عنه عاقبهم الله **عَزَّ وَجَلَّ** بقبول ضده، ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [الصف:٥].

❁ **قال الناظم حفظه الله:**

[٥٥] نَصٌّ مِنَ القُرْآنِ أَو مِنْ سُنَّةٍ أَكْرِمْ بِهِ مِنْ مَنْهَجٍ رَبَّانِ

❖ **الشرح:**

بهذا جرى أسلافنا رحمة الله عليهم في تعاملهم مع المبتدعة.

فقد ناظر عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخوارج وأفحمهم لما أرادوا قتله، وناظر عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلاً من أهل مصر لما طعن في عثمان وأنه فرّ يوم أُحد وأنه تغيب عن بدر فلم يشهد وهكذا بيعة الرضوان.

والحديث في البخاري برقم: (٣٤٩٥) عن عثمان بن وهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ البَيْتَ، فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ القَوْمُ؟ فَقَالُوا هَؤُلاَءِ قُرَيْشٌ.

قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ.

قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ.

قَالَ: ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ.

وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَسَهْمَهُ**».

وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**». فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**».

فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ. اهـ

وكتب الأئمة طافحة بالردود على المخالفين وبيان عوارهم من لدن عصر الصحابة فمن بعدهم إلى يومنا هذا - وإلى ما شاء الله.

* * *

إنفاق العلم سبب لنموه

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٥٦] وَابْـذُلْ مِـنْ العِلْـمِ الذِي أَوتِيتَـهُ فَخِبـاؤُهُ يُفْضِـي إِلَى النُقْصَـانِ

❖ الشرح:

ينبغي للطالب إذا فتح الله عَزَّ وَجَلَّ عليه باباً من أبواب العلم أن يدرّس إخوانه، فهذا باب البركة ومادة الخيرية، ويزداد علماً إلى علمه- كما قال أبو إسحاق الألبيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ واعظاً ولده:

يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفاً شَدَدتا

قال عبد الله بن المبارك كما في "الحلية" لأبي نعيم (٨/ ١٦٥):

«مَنْ بَخِلَ بِالْعِلْمِ ابْتُلِيَ بِثَلَاثٍ، إِمَّا مَوْتٌ فَيَذْهَبُ عِلْمُهُ، وَإِمَّا يَنْسَى، وَإِمَّا يُصْحَبُ فَيَذْهَبُ عِلْمُهُ»

فكتمان العلم آفة، وبذله بركة وطاعة.

قال الإمام ابن عبد البر كما في "التمهيد" (٨/ ٤٧٩)، ط: الكتب العلمية:

«إِخْفَاءُ الْعَمَلِ نَجَاةٌ، وَإِخْفَاءُ الْعِلْمِ هَلَكَةٌ».

الحث على اغتنام أوقات الشباب في تحصيل العلم

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٥٧] اغْـنَمْ شَـبَابَكَ فِي العُلُـومِ وَبَـذْلِهَا لِرَشَـــادِ كُلِّ مُضَـــلَّلٍ حَـــيْرَانِ

[٥٨] هَـذَا هُـوَ القَصْـدُ الذِي مِـنْ أَجْلِـهِ سَـــبَقَ الأَئِمَّـــةُ غَـــيرَهُمْ لِعَنَـــانِ

❖ الشرح:

اعلم أخي القاري الكريم أنّ كل خير وسعادة هي في تحقيق طاعته ونيل رضاه سبحانه وتعالى- فإذا سخر الطالب أوقاته في طاعة ربه فإنه يحصد ما زرعه، ويحمد المرء حينها سعيه في الأيام الخالية فإن عمل صالحاً فإنه سيجني الحسنات وإن عمل سيئًا فإنه يحمل الأوزار ورائه ظهرياً، وتنتابه الحسرة يوم لا تنفع الندامة.

أخرج الإمام الترمذي برقم: (٢٤١٧) عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»**. [الحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٩٤٦)].

قال ابن جماعة كما في "تذكرة السامع والمتكلم" (١٥٣) . فصل آدابه في دروسه:

ويغتنم وقت فراغه ونشاطه وزمن عافيته، وشرخ شبابه ونباهة خاطره، وقلة شواغله قبل عوارض البطالة أو موانع الرياسة.

قوله: (هَذَا هُوَ القَصْدُ الذِي مِنْ أَجْلِهِ ... سَبَقَ الأَئِمةُ غَيرَهُمْ لِعَنَانِ):

أي: أنّ من المقاصد العظيمة التي لأجلها يطلب الإنسان العلم هو أن يرفع الجهل عن نفسه وغيره، ويرشد نفسه وغيره.

۞ قال الناظم حفظه الله:

[٥٩] رَوِّضْ فُؤَادَكَ بِالكِتَابِ وَسُنَّةٍ ... إِنَّ القُلُوبَ تَمَلُّ كَالأَبْدَانِ

❖ الشرح:

هذه من آداب طالب العلم العلية، وهو أن يروض قلبه على الكتاب والسنة، وأخذ العلوم، وألا يمل في تحصيله للعلم.

فقد ذمّ النبي ﷺ الكسل، لعظم خطره.

أخرج الإمام مسلم برقم (٢٧٢٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» قَالَ الْحَسَنُ: فَحَدَّثَنِي الزُّبَيْدُ أَنَّهُ حَفِظَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ».

وقد قيل:

يا طالب العلم لا تركن إلى الكسل ... واعجل فقد خلق الإنسان من عجل

واستعمل الصبر في كسب العلوم وقل ... أعوذ بالله من علم بلا عمل

وقال ابن الوردي في "لاميته":

أطْلُبِ العِلمَ ولا تَكسَلْ فَمَا ... أبعدَ الخيرَ عَلى أهلِ الكَسَلْ

فدع عنك الملل، واحرص على عزيز وقتك، فهو رأس مالك، وأغلى من كنوز الدينا.

الاهتمام بوسائل التأهل العلمي

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٦٠] كُنْ مُغْرَماً بِالكُتْبِ وَاعْلَم أَنَّهَا رَفْعُ الرُّؤوسِ وَسِيمَةُ التِيجَانِ

❖ الشرح:

إنّ للكتب أهمية عظيمة في حفظ العلم، ولولا الكتب لضاعت العلوم واندرست، فلا يخلو كتاب من فائدة، وانظر ما كان عليه أئمتنا من الشغف بالكتب.

قال ابن عبد الهادي كما في "العقود الدرية" (صـ ٥)، في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، وتولعه بالكتب، قال:

«لَا تكَاد نَفسه تشبع من الْعلم فَلَا تروى من المطالعة وَلَا تمل من الاشتغال وَلَا تكل من الْبَحْث وَقل أَن يدْخل فِي علم من الْعُلُوم من بَاب من أبوابه إِلَّا وَيفتح لَهُ من ذَلِك الْبَاب أَبْوَاب ويستدرك مستدركات فِي ذَلِك الْعلم على حذاق أهله».

وقال الإمام ابن القيم، كما في "روضة المحبين" (٧٠):

«وحدثني شيخنا قال ابتدأني مرض فقال لي الطبيب إن مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض فقلت له لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك، أليست النفس إذا فرحت وسرت قويت الطبيعة فدفعت المرض، فقال: بلى، فقلت له:

فإن نفسي تسر بالعلم فتقوى به الطبيعة، فأجد راحة، فقال: هذا خارج عن علاجنا».

قال ابن الجوزي كما في "صيد الخاطر" (٣١٨):

«وليكن لك مكان في بيتك تخلو فيه، وتحادث سطور كتبك، وتجري في حلبات فكرك».

قال الذهبي في "تذكرة الحفاظ" (١٢٤٣/٤). في ترجمة ابن طاهر المقدسي:

«يقول: بلت الدم في طلب الحديث مرتين مرة ببغداد ومرة بمكة، كنت أمشي حافيًا في الحر فلحقني ذلك، وما ركبت دابة قط في طلب الحديث، وكنت أحمل كتبي على ظهري، وما سألت في حال الطلب أحدًا، كنت أعيش على ما يأتي».

وقال الحافظ يحيى بن عبد الوهاب ابن مندة، كما في "سير أعلام النبلاء" (٣٧/١٧):

«كُنْتُ مَعَ عمِّي عُبَيْد اللهِ فِي طَرِيْقِ نَيْسَابُوْر، فَلَمَّا بلغْنَا بِئرَ مَجَنَّة، قَالَ عَمِّي: كُنْتُ هَا هُنَا مَرَّةً، فَعَرضَ لِي شَيْخٌ جَمَّال، فَقَالَ: كُنْتُ قَافلاً مِنْ خُرَاسَانَ مَعَ أَبِي، فَلَمَّا وَصلنَا إِلَى هَا هُنَا إِذَا نَحْنُ بِأَرْبَعِيْنَ وِقْراً مِنَ الأَحمَالِ، فَظنَنَّا أَنَّهَا مَنسوجُ الثِّيَابِ، وَإِذَا خَيمَةٌ صَغِيْرَةٌ فِيْهَا شَيْخ، فَإِذَا هُوَ وَالدُكَ، فَسَأَلَهُ بَعْضُنَا عَنْ تِلْكَ الأَحمَالِ، فَقَالَ: هَذَا مَتَاعٌ قلَّ مَنْ يرغب فِيْهِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، هَذَا حَدِيْثُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ».

اهـ

وذكر الذهبي في ترجمة ابن المبارك. كما في "السير" (٣٨٢/٨):

«عن نُعَيْم بنِ حَمَّادٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ المُبَارَكِ يُكثِرُ الجُلُوْسَ فِي بَيْتِهِ، فَقِيْلَ لَهُ: أَلاَ تَسْتَوحِشُ؟ فَقَالَ: كَيْفَ أَسْتَوحِشُ وَأَنَا مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- وَأَصْحَابِهِ؟».

وقال الجاحظ كما في كتابه "الحيوان" (١/ ٥٢): وسمعتُ الحسن اللؤلؤي يقول: غَبَرتُ أربعين عاماً ما قِلْتُ ولا بِتُّ ولا اتكأت إلاّ والكتابُ موضوعٌ على صدري.

قلت: الحسن اللؤلؤي هو صاحب أبي حنيفة الكوفي.

وأخرج الخطيب كما في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (١/ ١٤٩):

عن الزُّبَيْرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: قَالَتِ ابْنَةُ أُخْتِي لِأَهْلِنَا: خَالِي خَيْرُ رَجُلٍ لِأَهْلِهِ، لَا يَتَّخِذُ ضَرَّةً وَلَا يَشْتَرِي جَارِيَةً، قَالَ: تَقُولُ الْمَرْأَةُ ـ أي زوجته ـ : وَاللهِ لَهَذِهِ الْكُتُبُ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ ثَلَاثِ ضَرَائِرَ.

قال الناظم حفظه الله:

[٦١] وَإِذَا أَرَدْتَ تَـمَكُّناً فِي مَطْلَـبٍ جَـرِّدْ كِبَـارَ الكُتْـبِ بِالبُرْهَـانِ

❖ الشرح:

معلوم لكل من له بصيرة بالعلم وأهله أنّ قراءة المطولات والتنقيب في بطون الكتب درجة لا يبلغها إلا المنتهي والذي أخذ حظاً وافراً من العلوم، وأتقن الأصول وتأصَّل في جانب المحفوظات والمتون.

فإذا قطع هذه المراحل شرع في جرد المطولات واستخراج أسرار المسائل وكنوز المعرفة وفرائد الفوائد.

قال ابن جماعة كما في "تذكرة السامع والمتكلم" (١/ ٦٨):

أما إذا تحقق أهليته وتأكدت معرفته فالأولى أن لا يدع فنًا من العلوم الشرعية إلا نظر فيه، فإن ساعده القدر وطول العمر على التبحر فيه فذاك وإلا فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك العلم. اهـ

وتأمل أيها القارئ الكريم إلى منتهى ما كان عليه أسلافنا رحمة الله عليهم من قوة الهمة وعلو العزيمة.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صيد الخاطر"(صـ٢٥٥٧):

وإني أخبر عن حالي، ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره، فكأني وقعت على كنز.

ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية، فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد، وفي ثبت كتب أبي حنيفة وكتب الحميدي، وكتب شيخنا عبد الوهاب بن ناصر، وكتب أبي محمد بن محمد بن الخشاب وكانت أحمالاً، وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه.

ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر وأنا بعد في الطلب». اهـ

وقال ابن رجب كما في ذيل "طبقات الحنابلة"(١/ ١٤٥)، في ترجمة ابن عقيل الحنبلي: «كان دائم التشاغل بالعلم، حتى أني رأيتُ بخطه: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عُمري، حتى إذا تعطَّل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعةٍ، أعملتُ فكري في حال راحتي، وأنا مستطرح، فلا أنهض إلاَّ وقد خطر لي ما أسطره. وإني لأجدُ من حرصي على العلم. وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجدُه وأنا ابن عشرين سنة».

وقال السخاوي كما في كتابه "الضوء اللامع"(٧/ ٨٤-٨٥)، في ترجمة محمد بن أحمد بن محمد الْعمريّ الصَّاغَانِي:

«كَانَ إِمَامًا عَلامَة مُتَقَدما فِي الْفِقْه والأصلين والعربية ومشاركا فِي فنون حسن الْكِتَابَة وَالتَّقْيِيد عَظِيم الرَّغْبَة فِي المطالعة والانتقاء بِحَيْثُ بَلغنِي عَن أبي الْخَيْر بن

عبد الْقوي أَنه قَالَ أعرفهُ أَزِيد من خمسين سنة وَمَا دخلت إِلَيْهِ قطّ إِلَّا وَوَجَدته يطالع أَو يكْتب».

قال محمد بن يحيى الذهلي لأبيه كما في "تاريخ بغداد"(٣/ ٤١٩):

«دخلت على أبي في الصيف الصائف وقت القائلة، وهو في بيت كتبه بين يديه السراج، وهو يصنف. فقلت: يا أبة، هذا وقت الصلاة، ودخان هذا السراج بالنهار، فلو نفست عن نفسك؟ فقال لي: يا بني تقول هذا وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وأصحابه، والتابعين».

وقال أبو هلال العسكري كما في كتابه "الحث على طلب العلم"(صـ٧٧)، في ترجمة ثعلب أحمد بن يحيى وهو إمام من أئمة اللغة: وَحُكِيَ عَنْ ثَعْلَبٍ أَنَّهُ كَانَ لَا يُفَارِقُهُ كِتَابٌ يَدْرُسُهُ، فَإِذَا دَعَاهُ رَجُلٌ إِلَى دَعْوَةٍ شَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يُوَسِّعَ لَهُ مِقْدَارَ مَسُورَةٍ، يضع فِيهَا كتابا وَيقْرَأ.

التحذير من آفات العلم

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٦٢] حَاذِرْ أَخَيَّ مِنَ التَعَالُمِ وَ المِرَا ... فِي دِينِنَا يُفْضِي إلى الشَنَآنِ

❖ **الشرح:**

التعالم آفة خطيرة وداء عضال ومرض قتّال ويورد صاحبه موارد الهلكة، وله آثار وخيمة على الفرد والمجتمع.

ولخطره حذّر النبي ﷺ منه.

أخرج البخاري برقم (٥٢١٨)، ومسلم برقم (٢١٢٩) عَنْ أَسْمَاءَ بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»**.

وقال الله تعالى: ذاماً القول عليه بلا علم وأنه من كبائر الذنوب: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٣].

قال ابن حزم كما في "مداراة النفوس"(صـ٢٧٦):

«لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون».

وقال ابن القيم كما في "إعلام الموقعين"(١٢٧/٢):

«وَقَالَ الزُّهْرِيُّ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَسْلَمَ وَهُوَ أَخُو زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: خَرَجْنَا مَعَ ابْنِ عُمَرَ نَمْشِي، فَلَحِقَنَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَأَلْت عَنْك فَدُلِلْت عَلَيْك، فَأَخْبِرْنِي أَتَرِثُ الْعَمَّةُ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، قَالَ: أَنْتَ لَا تَدْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ؛ اذْهَبْ إلَى الْعُلَمَاءِ بِالْمَدِينَةِ فَاسْأَلْهُمْ؛ فَلَمَّا أَدْبَرَ قَبَّلَ يَدَيْهِ قَالَ: نِعَمَّا قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ سُئِلَ عَمَّا لَا يَدْرِي فَقَالَ: لَا أَدْرِي».

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ فَلْيَقُلْ بِهِ؛ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ فَلْيَقُلْ: " اللَّهُ أَعْلَمُ " فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ: ﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾ [ص: ٨٦].

وَصَحَّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ: «مَنْ أَفْتَى النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْأَلُونَهُ عَنْهُ فَهُوَ مَجْنُونٌ».

وَقَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ: سَمِعْت الشَّعْبِيَّ إذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ شَدِيدَةٍ قَالَ: رُبَّ ذَاتِ وَبَرٍ لَا تَنْقَادُ وَلَا تَنْسَاقُ؛ وَلَوْ سُئِلَ عَنْهَا الصَّحَابَةُ لَعَضَلَتْ بِهِمْ.

وَقَالَ أَبُو حُصَيْنٍ الْأَسَدِيُّ: إِنَّ أَحَدَهُمْ لِيُفْتِيَ فِي الْمَسْأَلَةِ وَلَوْ وَرَدَتْ عَلَى عُمَرَ لَجَمَعَ لَهَا أَهْلَ بَدْرٍ.

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: لَأَنْ يَمُوتَ الرَّجُلُ جَاهِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ.

وَقَالَ الْقَاسِمُ: مِنْ إِكْرَامِ الرَّجُلِ نَفْسَهُ أَنْ لَا يَقُولَ إِلَّا مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَقَالَ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ وَاللَّهِ لَا نَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَسْأَلُونَنَا عَنْهُ، وَلَأَنْ يَعِيشَ الرَّجُلُ جَاهِلًا إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا لَا يَعْلَمُ.

وَقَالَ مَالِكٌ: مِنْ فِقْهِ الْعَالِمِ أَنْ يَقُولَ: (لَا أَعْلَمُ)، فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَتَهَيَّأَ لَهُ الْخَيْرُ. وَقَالَ: سَمِعْت ابْنَ هُرْمُزَ يَقُولُ: يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يُوَرِّثَ جُلَسَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ (لَا أَدْرِي)، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ أَصْلًا فِي أَيْدِيهِمْ يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: (لَا أَدْرِي) نِصْفُ الْعِلْمِ.

وَقَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: وَيْلٌ لِمَنْ يَقُولُ لِمَا لَا يَعْلَمُ: إِنِّي أَعْلَمُ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: سَمِعْت مَالِكًا يَقُولُ: سَمِعْت ابْنَ عَجْلَانَ يَقُولُ: إِذَا أَغْفَلَ الْعَالِمُ لَا أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ، وَذَكَرَ ابْنُ عَجْلَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

طَرِيقَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى مَالِكٍ، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَمَكَثَ أَيَّامًا مَا يُجِيبُهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ الْخُرُوجَ، فَأَطْرَقَ طَوِيلًا وَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، يَا هَذَا إِنِّي أَتَكَلَّمُ فِيمَا أَحْتَسِبُ فِيهِ الْخَيْرَ، وَلَسْت أُحْسِنُ مَسْأَلَتَك هَذِهِ.

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: سَمِعْت مَالِكًا يَقُولُ: الْعَجَلَةُ فِي الْفَتْوَى نَوْعٌ مِنْ الْجَهْلِ وَالْخَرَقِ، قَالَ: وَكَانَ يُقَالُ: التَّأَنِّي مِنْ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنْ الشَّيْطَانِ. وَهَذَا الْكَلَامُ قَدْ

رَوَاهُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «**التَّأَنِّي مِنْ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنْ الشَّيْطَانِ**» ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ: الْعَالِمُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يَدْخُلُ بَيْنَهُمْ.

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: قَالَ لِي مَالِكٌ وَهُوَ يُنْكِرُ كَثْرَةَ الْجَوَابِ فِي الْمَسَائِلِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا عَلِمْت فَقُلْ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُقَلِّدَ النَّاسَ قِلَادَةَ سُوءٍ.

وَقَالَ مَالِكٌ: حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو خَلْدَةَ وَكَانَ نِعْمَ الْقَاضِي: يَا رَبِيعَةُ، أَرَاك تُفْتِي النَّاسَ، فَإِذَا جَاءَك الرَّجُلُ يَسْأَلُك فَلَا يَكُنْ هَمُّك أَنْ تَتَخَلَّصَ مِمَّا سَأَلَك عَنْهُ.

وَكَانَ ابْنُ الْمُسَيِّبِ لَا يَكَادُ يُفْتِي إلَّا قَالَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْنِي وَسَلِّمْ مِنِّي.

وَقَالَ مَالِكٌ: مَا أَجَبْت فِي الْفَتْوَى حَتَّى سَأَلْت مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي: هَلْ تَرَانِي مَوْضِعًا لِذَلِكَ؟ سَأَلْت رَبِيعَةَ، وَسَأَلْت يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ، فَأَمَرَانِي بِذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَلَوْ نَهَوْك؟ قَالَ: كُنْت أَنْتَهِي.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِمَوْلَاهُ عِكْرِمَةَ: اذْهَبْ فَأَفْتِ النَّاسَ وَأَنَا لَك عَوْنٌ، فَمَنْ سَأَلَك عَمَّا يَعْنِيهِ فَأَفْتِهِ، وَمَنْ سَأَلَك عَمَّا لَا يَعْنِيهِ فَلَا تُفْتِهِ، فَإِنَّك تَطْرَحُ عَنْ نَفْسِك ثُلُثَ مُؤْنَةِ النَّاسِ.

فَوَائِدُ تَكْرِيرِ السُّؤَالِ:

وَكَانَ أَيُّوبُ إذَا سَأَلَهُ السَّائِلُ قَالَ لَهُ: أَعِدْ، فَإِنْ أَعَادَ السُّؤَالَ كَمَا سَأَلَهُ عَنْهُ أَوَّلًا أَجَابَهُ، وَإِلَّا لَمْ يُجِبْهُ، وَهَذَا مِنْ فَهْمِهِ وَفِطْنَتِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ».

وقال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "المجموع شرح المهذب"(١/٧٣):

«يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يَتَصَفَّحَ أَحْوَالَ الْمُفْتِينَ فَمَنْ صَلُحَ لِلْفُتْيَا أَقَرَّهُ وَمَنْ لا يصلح منعه ونهاه ان يعود وتواعده بِالْعُقُوبَةِ إِنْ عَادَ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مجموع الفتاوى" (٢٢/٢٤٠):

«وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي الدِّينِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا يُعَيِّنُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الدِّينِ بِلَا عِلْمٍ، أَوْ أَدْخَلَ فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ مِنْهُ».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "إعلام الموقعين"(٤/١٦٨):

«كَانَ مَالِكٌ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - يَقُولُ: مَنْ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَيَنْبَغِي لَهُ قَبْلَ أَنْ يُجِيبَ فِيهَا أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَكَيْفَ يَكُونُ خَلَاصُهُ فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ يُجِيبَ فِيهَا.

وَسُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: لَا أَدْرِي، فَقِيلَ لَهُ: إنَّهَا مَسْأَلَةٌ خَفِيفَةٌ سَهْلَةٌ، فَغَضِبَ، وَقَالَ: لَيْسَ فِي الْعِلْمِ شَيْءٌ خَفِيفٌ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا﴾ [المزمل:٥]، فَالْعِلْمُ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَخَاصَّةً مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَالَ: مَا أَفْتَيْتُ حَتَّى شَهِدَ لِي سَبْعُونَ أَنِّي أَهْلٌ لِذَلِكَ، وَقَالَ: لَا يَنْبَغِي لِرَجُلٍ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ أَهْلًا لِشَيْءٍ حَتَّى يَسْأَلَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، وَمَا أَفْتَيْتُ حَتَّى سَأَلْتُ رَبِيعَةَ وَيَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ، فَأَمَرَانِي بِذَلِكَ، وَلَوْ نَهَيَانِي انْتَهَيْتُ، قَالَ: وَإِذَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - تَصْعُبُ عَلَيْهِمْ الْمَسَائِلُ، وَلَا يُجِيبُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ مَسْأَلَةٍ حَتَّى يَأْخُذَ رَأْيَ صَاحِبِهِ مَعَ مَا رُزِقُوا مِنْ السَّدَادِ وَالتَّوْفِيقِ وَالطَّهَارَةِ، فَكَيْفَ بِنَا الَّذِينَ غَطَّتْ الذُّنُوبُ وَالْخَطَايَا قُلُوبَنَا؟ وَكَانَ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - إذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَكَأَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ فَيَتَكَلَّمُ وَإِنَّهُ لَيَرْعَدُ.

وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَيُّ الْبِلَادِ شَرٌّ؟ فَقَالَ: لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ جِبْرِيلَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: أَسْوَاقُهَا»**. وَقَالَ الْإِمَامُ **أَحْمَدُ**: مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا فَقَدْ عَرَّضَهَا لِأَمْرٍ عَظِيمٍ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ تُلْجِئُ الضَّرُورَةُ.

وَسُئِلَ الشَّعْبِيُّ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: لَا أَدْرِي، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي مِنْ قَوْلِكَ لَا دْرِي وَأَنْتَ فَقِيهُ أَهْلِ الْعِرَاقِ؟ فَقَالَ: لَكِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ تَسْتَحِي حِينَ قَالُوا: ﴿**لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا**﴾ [البقرة: ٣٢].

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: تَعَلَّمْ لَا أَدْرِي فَإِنَّكَ إِنْ قُلْتَ لَا أَدْرِي عَلَّمُوكَ حَتَّى تَدْرِيَ، وَإِنْ قُلْتُ: أَدْرِي سَأَلُوكَ حَتَّى لَا تَدْرِيَ.

وَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ: صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ أَرْبَعَةً وَثَلَاثِينَ شَهْرًا، فَكَانَ كَثِيرًا مَا يُسْأَلُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي.

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ لَا يَكَادُ يُفْتِي فُتْيَا وَلَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا قَالَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْنِي وَسَلِّمْ مِنِّي.

وَسُئِلَ الشَّافِعِيُّ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَسَكَتَ، فَقِيلَ: أَلَا تُجِيبُ؟ فَقَالَ: حَتَّى أَدْرِيَ الْفَضْلُ فِي سُكُوتِي أَوْ فِي الْجَوَابِ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى: أَدْرَكْتُ مِائَةً وَعِشْرِينَ مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يُسْأَلُ أَحَدُهُمْ عَنْ الْمَسْأَلَةِ فَيَرُدَّهَا هَذَا إِلَى هَذَا وَهَذَا إِلَى هَذَا حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى الْأَوَّلِ، وَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ أَوْ يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ.

وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْأَزْدِيُّ: إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُفْتِي فِي الْمَسْأَلَةِ لَوْ وَرَدَتْ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لَجَمَعَ لَهَا أَهْلَ بَدْرٍ.

وَسُئِلَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أُحْسِنُهُ، فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: إِنِّي جِئْتُكَ لَا أَعْرِفُ غَيْرَكَ، فَقَالَ لَهُ الْقَاسِمُ: لَا تَنْظُرُ إِلَى طُولِ لِحْيَتِي وَكَثْرَةِ النَّاسِ حَوْلِي، وَاللَّهِ مَا أُحْسِنُهُ، فَقَالَ شَيْخٌ مِنْ قُرَيْشٍ جَالِسٌ إِلَى جَنْبِهِ: يَا ابْنَ أَخِي الْزَمْهَا، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْنَاكَ فِي مَجْلِسٍ أَنْبَلَ مِنْكَ الْيَوْمَ، فَقَالَ الْقَاسِمُ: وَاللَّهِ لَأَنْ يُقْطَعَ لِسَانِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِمَا لَا عِلْمَ لِي بِهِ.

وَكَتَبَ سَلْمَانُ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - وَكَانَ بَيْنَهُمَا مُؤَاخَاةٌ: بَلَغَنِي أَنَّكَ قَعَدْتَ طَبِيبًا فَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ مُتَطَبِّبًا أَوْ تَقْتُلَ مُسْلِمًا، فَكَانَ رُبَّمَا جَاءَهُ الْخَصْمَانِ فَيَحْكُمُ بَيْنَهُمَا ثُمَّ يَقُولُ: رَدُّوهُمَا عَلَيَّ، مُتَطَبِّبٌ وَاللَّهِ، أَعِيدَا عَلَيَّ قَضِيَّتَكُمَا».

قوله: (... وَ المِرَا .. فِي دِينِنَا يُفْضِي إلى الشَنَآنِ):

والمراء يُقَسِّي القلب ويورِّث الضغائن ويباعد بين الأحبة وهو خلق ذميم حذّر النبي ﷺ منه ورتّب على من تركه الظفر بالجنة.

أخرج الإمام البخاري برقم: (٢٤٥٧)، ومسلم برقم: (٢٦٦٨):

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ»**.

وأخرج الترمذي برقم: (٣٢٥٣): عَنْ **أَبِي أُمَامَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ»**، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]. [هَذَا حَدِيثٌ حَسَنه الإمام الألباني في "صحيح الجامع" (٥٦٣٣)،و العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم (٤٧٩)].

وأخرج أبو داود برقم: (٤٨٠٠): عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا».

[الحديث صححه العلامة الألباني في "صحيح الجامع" (١٤٦٤)].

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٦٣] فَاحْذَرْ أَخَيَّ هُدِيتَ مِنْ كُلِّ الرَّدَى إِنَّ الرَّدَى وَالرَّانَ يَجْتَمِعَانِ

❖ الشرح:

الردى: الهلاك، كما في "لسان العرب" لابن منظور، (فصل الراء ١٤/٣١٦).

والران: قال الخطابي كما في "غريب الحديث" (٢/ ٧١): الرَّان والرَّيْن لغتان، وهو ما يغشى القلب ويتخلله من ظلمة الذنوب، قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين:١٤]، جاء في التفسير: طُبع على قلوبهم. اهـ

فواجب عليك يا طالب العلم أن تصون قلبك مما يورده موارد الهلكة، وأن تسعى في نجاته وسلامته من الآفات.

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٦٤] وَتَصَدُّرٌ فَاحْذَرْهُ قَبْلَ تَأَهُّلٍ عَارٌ عَلَى التَعْلِيمِ والأَذْهَانِ

❖ الشرح:

قال ابن جماعة كما في "تذكرة السامع" (٩٥) . في آداب العالم في دروسه . :

الثاني عشر: أن لا ينتصب للتدريس إذا لم يكن أهلاً له ولا يذكر الدرس مِنْ عِلْمٍ لا يعرفه، سواء أشرطه الواقف أو لم يشرطه فإن ذلك لعب في الدين وازدراء بين الناس.

قال النبي ﷺ: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور».

قال الإمام ابن القيم كما في "بدائع الفوائد" (٣/٢٧٧): «من حرص على الفتوى وسابق إليها وثابر عليها قلَّ توفيقه واضطرب في أمره وإن كان كارها لذلك غير مختار له ما وجد مندوحة عنه وقدر أن يحيل بالأمر فيه إلى غيره كانت المعونة له من الله عَزَّ وَجَلَّ أكثر والصلاح في جوابه وفتاويه أغلب».

وذكر ابن عبد البر عن مالك كما في "بدائع الفوائد" (٣/٢٧٧)، قال:

«أخبرني رجل أنه دخل على ربيعة فوجده يبكى، فقال: ما يبكيك أمصيبة دخلت عليك وارتاع لبكائه فقال: لا، ولكن استفتي من لا علم له وظهر في الإسلام أمر عظيم.

قال ربيعة: ولبعض من يفتى ههنا أحق بالحبس من السرّاق».

وقال العلامة بكر أبو زيد كما في "حلية طالب العلم":

«احذر التصدر قبل التأهل، هو آفة في العلم والعمل.

وقد قيل: من تصدر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه».

وقال العلامة العثيمين كما في "كتاب العلم" (٦١):

«مما يجب الحذر منه أن يتصدر طالب العلم قبل أن يكون أهلا للتصدر؛ لأنه إذا فعل ذلك كان هذا دليلاً على أمور:

الأمر الأول: إعجابه بنفسه حيث تصدر فهو يرى نفسه عَلَم الأعلام.

الأمر الثاني: أن ذلك يدل على عدم فقهه ومعرفته للأمور؛ لأنه إذا تصدر، ربما يقع في أمر لا يستطيع الخلاص منه، إذ إن الناس إذا رأوه متصدرًا أوردوا عليه من المسائل ما يبين عواره.

الأمر الثالث: أنه إذا تصدر قبل أن يتأهل لزمه أن يقول على الله عَزَّ وَجَلَّ ما لا يعلم؛ لأن الغالب أن من كان هذا قصده، أنه لا يبالي ويجيب على كل ما سُئِلَ ويخاطر بدينه وبقوله على الله - عَزَّ وَجَلَّ - بلا علم.

الأمر الرابع: أن الإنسان إذا تصدر فإنه في الغالب لا يقبل الحق؛ لأنه يظن بسفهه أنه إذا خضع لغيره ولو كان معه الحق كان هذا دليلاً على أنه ليس بعالم.

ومنها: سوء الظن: فيجب على طالب العلم الحذر من أن يظن بغيره ظنًّا سيئًا مثل أن يقول: لم يتصدق هذا إلا رياء، لم يُلق الطالب هذا السؤال إلا رياءً ليعرف أنه طالب فاهم، وكان المنافقون إذا أتى المتصدق من المؤمنين بالصدقة، إن كانت كثيرة قالوا: مُرَائي، وإذا كانت قليلة قالوا: إن الله غني عن صدقة هذا كما قال الله عنهم: ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [التوبة :٧٩]».

ومن جميل ما يذكر عن علي بن أحمد بن علي المؤدب، المعروف بالفالي، كما في "الكامل" في التاريخ (٨/ ١٤٥):

تَصَـدَّرَ لِلتَّـدْرِيسِ كُـلُّ مُهَـوَّسٍ ... بَلِيـدٍ تَسَـمَّى بِالْفَقِـيهِ الْمُـدَرِّسِ
فَحَـقٌّ لِأَهْـلِ الْعِلْـمِ أَنْ يَتَمَثَّلُـوا ... بَيْـتٍ قَدِيـمٍ شَـاعَ فِي كُـلِّ مَجْلِـسِ
لَقَـدْ هَزَلَـتْ حَتَّـى بَـدَا مِـنْ هُزَالِهَـا ... كُلَاهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسِ

وقال زفير بن الهذيل كما في "تاريخ الإسلام" (٤/ ٥١):

«من قعد قبل وقته ذلّ».

قلت: والتصدر قبل التمكن شر محض، وفساد ظاهر، وعواقبه وخيمة، فمن وقاه الله عَزَّ وَجَلَّ شر التصدر فقد وُقِي.

قال الناظم حفظه الله:

[٦٥] إِيَّاكَ لَا تُعْجَبْ بِعِلْمٍ أَوْ ذَكَا إِنَّ الغُرُورَ مَدَارِجُ الخُسْرَانِ

❖ الشرح:

من المزالق العظيمة والفواقر الجسيمة لطالب العلم أن يعجب بعلمه، أو بشيء من ذكائه، فإن لم يتدارك الطالب نفسه، ويتخلص من هذه الآفات فقد أصيبت مقاتله، وزين له الشيطان علمه، وباء بالخسارة، فالحذر الحذر من الإعجاب بالنفس، فإنّ الإعجاب أم الشقاوات، ومنبع المهلكات.

أخرج الإمام البيهقي كما شعب الإيمان برقم (٧٣١):

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ**». اهـ [صححه الإمام الألباني في السلسة الصحيحة برقم (١٨٠٢)].

وأخرج أبو نعيم كما في "الحلية" (١/٣٠٧). ترجمة ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بسند حسن:

أَنَّ رَجُلًا، قَالَ لِابْنِ عُمَرَ: يَا خَيْرَ النَّاسِ - أَوْ يَا ابْنَ خَيْرِ النَّاسِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَا أَنَا بِخَيْرِ النَّاسِ، وَلَا ابْنِ خَيْرِ النَّاسِ، وَلَكِنِّي عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ، أَرْجُو اللهَ تَعَالَى وَأَخَافُهُ، وَاللهِ لَنْ تَزَالُوا بِالرَّجُلِ حَتَّى تُهْلِكُوهُ».

والعجب: قال ابن منظور كما في "لسان العرب" (١/٥٨٢):

والعُجْبُ: الزُّهُوُّ. وَرَجُلٌ مُعْجَبٌ: مَزْهُوٌّ بِمَا يَكُونُ مِنْهُ حَسَناً أَو قَبِيحاً. وَقِيلَ: المُعْجَبُ الإِنسانُ المُعْجَبُ بِنَفْسِهِ أَو بالشيءِ.

وقال الفيروز أبادي كما في "القاموس" (١٤٤) طبعة البيروت:

العُجْبُ: بالضَم الزَهْوُ والكِبْرُ. اهـ

وقد خلَّدَ التاريخُ ذكرَ رجالٍ أهلكهم ذكاؤهم وإعجابهم بأنفسهم، كأبي العلاء المعري، وأبي حيان التوحيدي، وابن الراوندي.

حتى قال الذهبي في ترجمة ابن الراوندي، كما في "السير" (١٤/ ٦٢):

لَعَنَ اللهُ الذَّكَاءَ بِلاَ إِيْمَانٍ، وَرَضِيَ اللهُ عَنِ البَلاَدَةِ مَعَ التَّقْوَى. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "درء تعارض العقل والنقل" (٩/ ٣٤):

وقد يكون الرجل من أذكياء الناس وأحدهم نظراً ويعميه عن أظهر الأشياء، وقد يكون من أبلد الناس وأضعفهم نظراً ويهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فلا حول ولا قوة إلا به.

فمن اتكل على نظره واستدلاله، أو عقله ومعرفته، خذل. اهـ

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "شرح الحموية" (٢١٤):

«وكثير من الأذكياء قد يتزندق بسبب ذكائه، ويحتقر الناس، ويرى أنهم ليسوا على شيء، فيضل ويهلك».اهـ

فواجب على طالب العلم إذا أعطاه الله عَزَّ وَجَلَّ علما أو ذكاءً أن يتواضع لله، وليعلم أنّ العلم والذكاء تفضل من الله عَزَّ وَجَلَّ ، ومحض امتنان منه سبحانه.

قال الناظم حفظه الله:

[٦٦] وَكَـذَا بُـرُوزٌ للبُحُـوثِ وِجَمْعِهَـا مِـنْ قَبْـلِ نُضْـجِ فَوَائِـدٍ وَبَنَـانِ

❖ الشرح:

ومن الفواقر التي لا تليق بطالب العلم أن يقحم نفسه في جمع المباحث قبل أن يستكمل علوم الآلة وقبل أن يؤصِّل نفسه بالمحفوظات ويكون ناضجاً، فهذا الصنف كحاطب ليلٍ وفسادُه عريضٌ.

وفي حديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في الصحيحين، قالت: قال ﷺ: «**المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**».

أخرج البخاري معلقًا عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا».

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "السير" (١١/٣٧٧):

«وَأَمَّا اليَوْمَ فَقَدْ اتَّسَعَ الخَرْقُ، وَقَلَّ تَحْصِيْلُ العِلْمِ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ، بَلْ وَمِنَ الكُتُبِ غَيْرِ المَغْلُوْطَةِ، وَبَعْضُ النَّقَلَةِ للمسائل قد لا يحسن أن يتهجى. اهـ

فينبغي على طالب العلم أن لا يقحم نفسه فيما لا يحسنه ويعرف قدر نفسه، وأن يترقى شيئاً فشيئاً في تحصيل العلوم.

فالعجلة باب الندم وبريد الزلل، وإذا تصدّر الحدث، فاته علم كثير.

وقد قيل:

ومن تزيا بغير ما هو فيه　　فضحته شواهد الامتحان

ولهذا يقول الإمام مالك بن أنس كما في "حلية الأولياء" (٦/٣١٦): «ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك».

وقال سفيان الثَّوْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ، كما في "حلية الأولياء" لأبي نُعيم(٦/٣٦٢):

«مَنْ حَدَّثَ قَبْلَ أَنْ يُحْتَاجَ إِلَيْهِ ذُلَّ».

وقال الصُّعْلُوْكِيُّ كما في "السير للذهبي" (١٧/٢٠٨):

«مَنْ تَصَدَّرَ قَبْلَ أَوَانِهِ، فَقَدْ تَصَدَّى لِهَوَانِهِ».

كيفية التعامل مع عثرات وزلة العالم

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٦٧] وَإِذَا ظَفِـــرْتَ بِعَـــثْرَةٍ لِمُعَلِّـــمٍ فَـــأَبِنْ لَهُ مُتَفَـــرِّداً بِحَنَـــانِ

[٦٨] لاَ تَفْـــرَحَنَّ بِزَلَّـــةٍ مِـــنْ عَالِـــمٍ فَرَوَاجُهَـــا عَارٌ عَلَى البُـــلْدَانِ

❖ الشرح:

من الآداب الحميدة لطالب العلم التي ينبغي له أن يراعيها مع شيخه، الاّ يفرح بزلته إن زّل، فلكل عالم زلّة، ولكل جواد كبوة، ولا يسلم من الزلل إلا من عصمه الله وقد قيل: العَالِمْ يَزِلْ بِهَفْوَتِهِ عَالَمْ.

قال ابن مفلح كما في "الآداب الشرعية"(٣/٤٧٨): «قال البنا: فَإِذَا بَدَا لَك مِنْ عَالِمٍ زَلَّةٌ فَاسْأَلْهُ عَنْ حُكْمِ مَا فَعَلَ كَذَا فَإِنْ كَانَ لَهُ عُذْرٌ أَبْدَاهُ فَتَخَلَّصْت مِنْ إثْمِ غَيْبَتِهِ أَوْ خَطَرِ الِاقْتِدَاءِ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ مُخْطِئًا عَرَفَ الْحَقَّ عَلَى نَفْسِهِ وَعَرَفَ مَغْزَى كَلَامِك وَأَنَّك تُنْكِرُ عَلَيْهِ وَبِهَذِهِ الطَّرَائِقِ أَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدَهُ دَاوُد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي النَّعْجَةِ انْتَهَى كَلَامُهُ».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "إعلام الموقعين" (٢/٢٨٦): «فَأَمَّا زَلَّةُ الْعَالِمِ فَإِنْ اهْتَدَى فَلَا تُقَلِّدُوهُ دِينكُمْ وَتَقُولُونَ نَصْنَعُ مِثْلَ مَا يَصْنَعُ فُلَانٌ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَا تَقْطَعُوا إيَاسَكُمْ مِنْهُ فَتُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ».

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٦٩] إلا بَيَانـــاً للضِـــيَاءِ مِـــنْ العَـــمَى فَبِـــهِ قِيَـــامُ الدِيـــنِ وَ الأَرْكَانِ

❖ الشرح:

وهذا ليس على إطلاقه فإن كان من أهل العلم المعتبرين وحصلت له هفوة فإنه يناصح سراً لا علانية، إلا إذا أبى وأعرض ورد الحق فلا بأس أن يُبين ما هو عليه من الخطأ خشية أن يُتبع وإن كان من أهل البدع والضلال فإنه يُحذر منه نصحاً لدين الله عَزَّ وَجَلَّ .

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "السير" (٥/٢٧١):

«ثُمَّ إِنَّ الكَبِيْرَ مِنْ أَئِمَّةِ العِلْمِ إِذَا كَثُرَ صَوَابُه، وَعُلِمَ تَحَرِّيهِ لِلْحقِّ، وَاتَّسَعَ عِلْمُه، وَظَهَرَ ذَكَاؤُهُ، وَعُرِفَ صَلاَحُه وَوَرَعُه وَاتِّبَاعُه، يُغْفَرُ لَهُ زَلتُهُ، وَلاَ نُضِلِّلُهُ وَنَطْرَحُهُ وَنَنسَى مَحَاسِنَه.

نَعَم، وَلاَ نَقتَدِي بِهِ فِي بِدعَتِه وَخَطَئِه، وَنَرجُو لَهُ التَّوبَةَ مِنْ ذَلِكَ».

وقال الإمام الذهبي أيضًا في ترجمة مجاهد بن جبر (٤/٤٥٤):

وَلِمُجَاهِدٍ أَقْوَالٌ وَغَرَائِبُ فِي العِلْمِ وَالتَّفْسِيْرِ تُسْتَنْكَرُ.

قال الناظم حفظه الله:

[٧٠] لَازِمْ دَوَاءَ النَفْسِ وَاعْلَمْ أَنَّهَا أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ وَالعُدْوَانِ

❖ الشرح:

مجاهدة النفس والسعي في علاجها أمرٌ لابُدَّ منه فالنفس تحمل الإنسان على الاتصاف بمساوئ الأخلاق، وقبيح الفعال، فالله الله في إصلاح النيّة ومعالجة الطوية.

ودونك نموذجًا ممن كان عليه أسلافنا من معالجة النفس ومجاهدتها.

قال السري السقطي كما في "الحلية" (١٠/١٢٤):

وَمِنْ عَلَامَةِ الِاسْتِدْرَاجِ الْعَمَى عَنْ عُيُوبِ النَّفْسِ.

وقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ كما في "صفة الصفوة" (٢/٤٧٩):

«كَابَدْتُ نَفْسِي أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى اسْتَقَامَتْ».

وقَالَ الأَعْمَشُ: «كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي لَيْلَى يُصَلِّي فَإِذَا دَخَلَ الدَّاخِلُ نَامَ عَلَى فِرَاشِهِ». اهـ كما في السير للذهبي (٤/٢٦٤).

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ كما في "الآداب الشرعية" لابن مفلح (٢/٣٧):

«طَلَبنَا الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَأَبَى أَنْ يَرُدَّنَا إِلَّا إِلَى اللَّهِ».

قَالَ سُفْيَانُ بْنَ عُيَيْنَةَ، كما في "حلية الأولياء" لأبي نعيم (٧/٢٧١):

« قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: اثْنَتَانِ أَنَا أُعَالِجُهُمَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، تَرْكُ الطَّمَعِ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، وَإِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ».

قوله: (وَاعْلَمْ أَنَّهَا أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ وَالعُدْوَانِ):

وهذا يدل عليه قَوْلُهِ تَعَالَى مخبراً عن امرأة العزيز: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣].

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٧١] وَكَذَا اللِّسَانُ احْذَرْهُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ ... يُودِي بِنَفْسِكَ هُوَّةَ النِّيرَانِ

❖ **الشرح:**

اللسان صغيرُ الخلقة عظيمُ الجرْمِ، ومجمعُ الشرور، ويورد صاحبه موارد الهلكة، حذرت الشريعة المطهرة من غوائله قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾

[البقرة:٨٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[الأحزاب:٧١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وأخرج البخاري برقم: (٦٠١٨)، ومسلم برقم: (٤٧):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ**».

وأخرج الإمام البخاري برقم: (٦٤٧٤): عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**».

ولخطره كان النبي ﷺ يستعيذ منه.

أخرج أبو داود برقم: (١٥٥١): عَنْ شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ، عَلِّمْنِي دُعَاءً، قَالَ: « **قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي** ». [وصححه الإمام الألباني في "مشكاة المصابيح" برقم: (٢٤٧٢)، والعلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم (٤٧٦)].

وجعل النبي ﷺ السلامة في حفظه.

أخرج الإمام الترمذي برقم: (٢٥٠١): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ صَمَتَ نَجَا**». [صححه الألباني في "الصحيحة"(٥٣٦)].

وأخرج الطبراني في "الأوسط" برقم (٢٣٤٠): عَنْ ثَوْبَانَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ**». [صححه الألباني كما في الروض النضير برقم: (١٨٠)].

أخرج الحاكم في "المستدرك" برقم: (٤/٢٨٦): عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لمعَاذُ: «**يَا مُعَاذُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ - أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ - وَهَلْ يُكَبَّ النَّاسِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا مَا نَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ عَنْ شَرٍّ، قُولُوا خَيْرًا تَغْنَمُوا وَاسْكُتُوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُوا**».

[وصححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند"(٥٣٨)].

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في "المعجم الكبير" للطبراني(٣/ ١٢٠) بإسناد صحيح موقوفًا : (والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان).

وقال عبد الله بن عمرو كما في "شعب الإيمان " للبيهقي (٣/ ١٢٢) بإسناد صحيح موقوفًا: «دع ما لست منه في شيء، ولا تنطق فيما لا يعنيك، واحزن لسانك مما تحزن دراهمك».

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ كما في "الحلية" (٢/٣٧٧): « كَانَ الْأَبْرَارُ يَتَوَاصَوْنَ بِثَلَاثٍ: بِسِجْنِ اللِّسَانِ وَكَثْرَةِ الِاسْتِغْفَارِ وَالْعُزْلَةِ ».

قال الإمام ابن البطة العكبري (٢/٥٩٦):

فَإِنَّ هَذِهِ الْفِتَنَ وَالْأَهْوَاءَ قَدْ فَضَحَتْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَكَشَفَتْ أَسْتَارَهُمْ عَنْ أَحْوَالٍ قَبِيحَةٍ، فَإِنَّ أَصْوَنَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَحْفَظُهُمْ لِلِسَانِهِ، وَأَشْغَلُهُمْ بِدِينِهِ، وَأَتْرَكُهُمْ لِمَا لَا يَعْنِيهِ. اهـ

وقد أحسن من قال:

احفظ لسانكَ أيُّها الإنسانُ ... لا يلدغنَّكَ إنهُ ثعبانُ

كم في المقابرِ من قتيلِ لسانهِ ... كانت تهابُ لقاءهُ الشُجعانُ

قال الناظم حفظه الله:

[٧٢] قَيِّدْ مَسَارَكَ بِالكِتَابِ وَسُنَّةٍ ... فَالقَلْبُ مَجْبُولٌ عَلَى المَيلَانِ

❖ الشرح:

قال تَعَالَى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى:١٥]، وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٧٠].

وأخرج أبو داود برقم (٤٦٠٧) عن الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». [والحديث صححه الوادعي في "الصحيح المسند"(٩٢١)].

وأخرج أبو خيثمة في "كتاب العلم"(٥٠) بإسناد صحيح عن مسروق قال: «ما نسأل أصحاب محمد من شيء إلا علمه في القرآن إلا أن علمنا يقصر عنه».

في "سيرة الإمام أحمد" لصالح بن الإمام أحمد بن حنبل (صـ٥٥): «لما عرض المعتصم القول بخلق القرآن على الإمام أحمد قال" يا أَمِير الْمُؤمنِينَ أعطوني شَيْئا من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ أَو سنة رَسُوله أَقُول بِهِ ذَلِك».

وروى ابن أبي حاتم في "آداب الشافعي ومناقبه" (صـ٨٦/٨٧): «قَالَ الإمامُ أحمدُ بنُ حَنبل لِلشَّافِعِيِّ: مَا تَقُولُ فِي مَسْأَلَةِ كَذَا وَكَذَا؟ فَأَجَابَ فِيهَا، فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ قُلْتَ؟ هَلْ فِيهِ حَدِيثٌ، أَوْ كِتَابٌ؟ ! قَالَ: بَلَى، فَنَزَعَ فِي ذَلِكَ، حَدِيثًا لِلنَّبِيِّ ﷺ».

قال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (١٠/٣٦٣):

«فَمَنْ بَنَى الْكَلَامَ فِي الْعِلْمِ: الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ الْمَأْثُورَةِ عَنْ السَّابِقِينَ فَقَدْ أَصَابَ طَرِيقَ النُّبُوَّةِ».

قال ابن رجب كما في "فضل علم السلف على علم الخلف" (٤٤. ٤٥):

«وقال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة من لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في علمنا هذا».

قلت: إذا لم يتقيد الإنسان بالدليل فإنه على شفا هلكة، ومآله الميل و الضلال.

التحذير من أخذ العلم عن أهل البدع

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٧٣] لَا تَأْخُذَنَّ العِلْمَ عَنْ ذَي بِدْعَةٍ إِنَّ الهَوَى يُعْمِي بِذِي الفَتَانِ

❖ الشرح:

لقد حذَّر العلماء قديماً وحديثاً من الأخذ عن أصحاب الشبهات، وأهل البدع، وذلك أنّ البدع ممرضة للقلب.

فالسلف كانوا ينهون عن مجالسة المبتدعة، وعن النظر في كتبهم، والاستماع لكلامهم كل ذلك نصحاً لدين الله عَزَّ وَجَلَّ، وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وأخذاً للميثاق الذي أخذه الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم، وبياناً للحق وإظهاره، وإزهاقاً للباطل وبيانه.

أخرج الطبراني في المعجم الكبير برقم (٩٠٨): عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ اللَّخْمِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثَةً: إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَلْتَمِسَ الْعِلْمَ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ».

[صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٦٩٥)].

قال المناوي كما في "فيض القدير" (٢/ ٥٣٣): قال الطبراني عن بعضهم: يقال إنّ المراد بالأصاغر من أهل البدع.

وقال الإمام مالك كما "السير" للذهبي (٨/ ٦١):

لاَ يُؤْخَذُ العِلْمُ عَنْ أَرْبَعَةٍ:

١ - سَفِيْهٍ يُعلِنُ السَّفَهَ، وَإِنْ كَانَ أَرْوَى النَّاسِ.

٢ - وَصَاحِبِ بِدْعَةٍ يَدعُو إِلَى هَوَاهُ.

٣ - وَمَنْ يَكْذِبُ فِي حَدِيْثِ النَّاسِ، وَإِنْ كُنْتُ لاَ أتهمه فِي الحَدِيْثِ.

٤ - وَصَالِحٍ عَابِدٍ فَاضِلٍ، إِذَا كَانَ لاَ يَحْفَظُ مَا يُحَدِّثُ بِهِ.

قال عَمْرِو بْنُ قَيْسٍ الْمُلَائِيُّ كما في "الإبانة" لابن بطة (٢/٤٣٦):

«كَانَ يُقَالُ: لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ زَيْغٍ فَيُزِيغُ قَلْبَكَ».

قَالَ مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ كما في "الإبانة" (٣٩٣):

«لَا تُجَالِسْ مَفْتُونًا، فَإِنَّكَ مِنْهُ عَلَى إِحْدَى اثْنَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَفْتِنَكَ فَتَتْبَعَهُ ، وَإِمَّا أَنْ يُؤْذِيَكَ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَهُ».

قال الخطيب البغدادي كما في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (٤٧ . ٤٨): « وإذا كان الراوي من أهل الأهواء والمذاهب التي تخالف الحق لم يسمع منه، وإن عرف بالطلب والحفظ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (٢٣/ ٣٤٢): «فَإِنَّ مَنْ كَانَ مُظْهِرًا لِلْفُجُورِ أَوْ الْبِدَعِ يَجِبُ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ وَنَهْيُهُ عَنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ مَرَاتِبِ الْإِنْكَارِ هَجْرُهُ لِيَنْتَهِيَ عَنْ فُجُورِهِ وَبِدْعَتِهِ».

۞ قال الناظم حفظه الله:

[٧٤] مِنْ لَازِمِ الإِيمَانِ حُبُّكَ عَالِماً هَذَا مُضَمَّنُ مَنْهَجِ الدَيَّانِ

❖ الشرح:

يدل على هذا الأدب ما أخرجه أبو داود (٤٨٤٣): عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إن من إجلالِ الله إكرامَ ذي الشيبَةِ المسلمِ، وحاملِ القُرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السُّلطَانِ المُقْسِطِ**».

[صححه الألباني في "صحيح الجامع" (٢١٩٩)].

وأخرج الإمام أحمد برقم: (٢٢٧٥٥) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا**». [الحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب برقم: (٩٦)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في "السنن الكبرى للبيهقي" (١٢/ ٩٦) -بسند حسن -: أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب فقال: تنح يا بن عم رسول الله ﷺ فقال هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا.

وعن أبي معاوية الضرير كما في "المنتظم لابن الجوزي" (٨/ ٣٢٢-٣٢٣):

«أكلت مَعَ الرَشِيدِ طَعَاماً يوما منَ الأيامِ فَصَبَّ عَلَى يدي رَجُلٌ لا أَعرِفُه، فَقَالَ هارون: يا أبا معاوية تَدْرِي من يَصُبُّ عَلَيكَ ؟ وقلتُ: لا، قَالَ: أنا. قلت: أنت يَا أَمِيرَ المؤمنين. قال: نعَم إجلالاً للعلمِ».

قال الشافعي كما في "تاريخ دمشق" (١٤/ ٢٩٣). في الإمام مالك بن أنس . :

ربما كنت أكون في مجلسه وأريد أن أصفح الورقة فاصفحها صفحا رقيقا هيبة له لئلا يسمع وقعها.

قال الناظم حفظه الله:

[٧٥] إِنْ ضَلَ عَنْ سيرِ الهُدَى فَجَزَاؤُهُ أَنْ يُحْذَرَنَّ عَلَى مَدَى الأَزْمانِ

❖ الشرح:

العالم إذا ضلّ يُحذر منه ويُكشَف عَوَاره، ويهتك ستره، وذلك صيانة للدين، وقياماً بجانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنّ ضلال العالم آفة عظيمة، ويترتب على ضلاله من المفاسد ما الله به عليم.

فقد أخرج الإمام أحمد في "مسنده" برقم: (٢٧٤٨٥)، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ «**أَنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ**».

[وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (١٥٨٢)].

وأخرج الإمام أحمد في "مسنده" برقم: (١٤٣) عنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**».

[الحديث صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (١٠١٣)].

وأخرج أبو داود في "سننه" برقم: (٤٣١٩٠) عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**»، أَوْ «**لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**». [صححه الألباني كما في "المشكاة" (٥٤٨٨)].

قال الإمام البغوي كما في "شرح السنّة" (١/ ٢٢٧)، طبعة المكتب الإسلامي.

بعد أن ذكر حديث كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هِجْرَانَ أَهْلِ الْبِدَعِ عَلَى التَّأْبِيدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَافَ عَلَى كَعْبٍ وَأَصْحَابِهِ النِّفَاقَ حِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَهُ، فَأَمَرَ بِهِجْرَانِهِمْ، إِلَى أَنْ أَنْزَلَ اللهُ تَوْبَتَهُمْ، وَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَرَاءَتَهُمْ، وَقَدْ مَضَتِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأَتْبَاعُهُمْ، وَعُلَمَاءُ السُّنَّةِ عَلَى هَذَا مُجْمِعِينَ مُتَّفِقِينَ عَلَى مُعَادَاةِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ، وَمُهَاجَرَتِهِمْ». اهـ

وأخرج الإمام مسلم في مقدمته أيضاً برقم (٩٤) بإسناد صحيح: قَالَ زَيْدٌ يَعْنِي ابْنَ أَبِي أُنَيْسَةَ: «**لَا تَأْخُذُوا عَنْ أَخِي**».

وقال الإمام الشاطبي كما في "الاعتصام" (١/ ٢٨٠): «فَإِنَّ فِرْقَةَ النَّجَاةِ وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ مَأْمُورُونَ بِعَدَاوَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَالتَّشْرِيدِ بِهِمْ، وَالتَّنْكِيلِ بِمَنِ انْحَاشَ إِلَى جِهَتِهِمْ».

التحذير من شرور التحزب

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٧٦] وَالشَّـــرُّ كُلُّ الشَّـــرِّ في حِزْبِيَّـــةٍ تُعْـمِي وَتُـذْهِبُ رَونَـقَ الإِخْـوَان

❖ الشرح:

أخرج الإمام أحمد كما في "العلل ومعرفة الرجال" رواية ابنه عنه برقم (٣٥٩٧)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٣٩/ ٣٢٥)، بإسنادين يرتقي الحديث إلى الحسن لغيره: **عن أم سلمة رضي الله عنها قالت**: (إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم قد بَرِيء مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَاحْتَزَبَ).

قال ابن منظور في "لسان العرب"(١/ ٣٠٨): «وحِزْبُ الرجل أَصْحابُه وجُنْدُه الذين على رأْيِه والجَمْعُ كالجمع والمُنافِقُونَ والكافِرُونَ حِزْبُ الشَّيطانِ وكل قوم تَشاكَلَتْ قُلُوبهُم وأَعْمالُهُم فهم أَحْزابٌ وإِن لم يَلْقَ بعضُهم بَعْضاً بمنزلة عادٍ وَثُمودَ وفِرعَوْنَ أُولئك الأَحزابُ وكل حِزْبٍ بما لَدَيْهم فَرِحُون كلُّ طائفةٍ هَواهُم واحدٌ».

والحزبية سمٌ قاتل، ومرض معدي، وظاهرة سلبية وعدوى مهلكة، تحمل صاحبها على ملازمة التعصب ورد الحق ممن جاء به، ومن تأمن أضرارها ونتائجها حدا به ذلك إلى تحذيره منها وبعده عنها.

فإنها تفرق بين الأحبة، وتُذهب روح الإخاء وتفسد ذات بينهم وتدع الديار بلاقع.

وكان من أجمل العبارات النفيسة التي كان يكررها الإمام الوادعي على طلابه: **«إن الحزبية مساخة»**.

قال العلامة بكر أبو زيد في "الحلية": «فكن طالب علم على الجادة؛ تقفو الأثر، وتتبع السنن، تدعو إلى الله عَزَّ وَجَلَّ على بصيرة، عارفاً لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم.

وإنّ الحزبية ذات المسارات والقوالب المستحدثة التي لم يعهدها السلف من أعظم العوائق عن العلم، والتفريق عن الجماعة، فكم أوهنت حبل الاتحاد الإسلامي، وغشيت المسلمين بسببها الغواشي.

فاحذر رحمك الله أحزاباً وطوائف طاف طائفها، ونجم بالشر ناجمها، فما هي إلا كالميازيب؛ تجمع الماء كدراً، وتفرقه هدراً؛ إلا من رحمه ربك، فصار على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم».

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٧٧] مِنْ أَعْظَمِ الخُذْلَانِ سِيرَةُ طَالِبٍ سَيراً شَئُوماً مُفْزِعاً لِجِنَانِ

❖ الشرح:

اعلم أخي الكريم أن ثمّ خوارم لنظام هذه النونية:

فبابُ الخذيلةِ ومادةُ الفشلِ سير الطالب سيراً سيئاً في طلبه ومن ذلك.

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٧٨] إِفْشَاءُ سِرٍّ وَادِخَارُ ضَغَائِنٍ نَقْلُ الحَدِيثِ بِنِيَّةِ الإِفْتَانِ

❖ الشرح:

من هذه الخوارم التي هي في الحقيقة خدش لطالب العلم.

(إِفْشَاءُ سِرٍّ): لقد أمر النبي ﷺ بحفظ السر فإنّه من عزيز الفضائل وحميد الخصال.

أخرج الإمام أبو داود (٤٨٦٨): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ»**.

[وصححه الألباني في "صحيح الجامع" برقم: (٤٨٦)].

وأخرج أبو داود برقم: (٤٨٦٩): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **« الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ»**. [وصححه الألباني في "صحيح الجامع" برقم: (٦٦٧٨)].

ومن أحسن ما يُتمثل به في هذا الباب قول الشاعر:

إذا ما المـرء أخطـأه ثـلاث ... فبعه ولو بكـف من رمـادِ

سلامة صدره والصـدق منه ... وكتمـان السرائر في الفـؤادِ

(وَادِخَارُ ضَغَائِنٍ): ومن هذه الآفات العظيمة التي يحذرها طالب العلم ألاّ يحمل الضغائن على إقرانه.

قال الجوهري كما في "مختار الصحاح" باب: (١/ ١٨٤):

الْحِقْدُ : (الضِّغْنُ) وَ (الضَّغِينَةُ) الْحِقْدُ وَقَدْ (ضَغِنَ) عَلَيْهِ مِنْ بَابِ طَرِبَ. وَ(تَضَاغَنَ) الْقَوْمُ وَ (اضْطَغَنُوا) انْطَوَوْا عَلَى الْأَحْقَادِ.

لقد تكاثرت الأدلة في ذم الحقد وأنه من مساوئ الأخلاق و رديء الطباع.

أخرج مسلم برقم (٢٥٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَحَاسَدُوا»**.

قال الفُضَيْلِ بن عياض كما في "السير" للذهبي (٨/٤٣٧) : «قَالَ: الْمُؤْمِنُ يَغْبِطُ، وَلاَ يَحْسُدُ، الغِبْطَةُ مِنَ الإِيْمَانِ، وَالحَسَدُ مِنَ النِّفَاقِ».

قَالَ الْمُعَافَى بْنُ زَكَرِيَّا كما في "البداية والنهاية"(١٢/٣٦):

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا ... أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الْأَدَبْ

أَسَأْتَ عَلَى اللَّهِ فِي فِعْلِهِ ... لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبْ

فَجَازَاكَ عَنِّي بِأَنْ زَادَنِي ... وَسَدَّ عَلَيْكَ وُجُوهَ الطَّلَبْ

وقيل للحسن البصري كما في "عيون الأخبار" (٢/٤٠٦):

«أيحسد المؤمن أخاه؟ قال: لا أبا لك ، أنسيت إخوة يوسف؟».

قال ابن تيمة كما في "أمراض القلوب" (٢١):

«مَا خلا جَسَد من حسد لَكِن اللَّئِيم يبديه والكريم يخفيه».

قال الإمام ابن القيم في "الفوائد" (١٣٤)بتصرف:

«وَمن أَرَادَ صفاء قلبه فليؤثر الله عَزَّ وَجَلَّ على شَهْوَته، إِذِ الْقُلُوب الْمُتَعَلّقَة بالشهوات محجوبة عَن الله بِقدر تعلقهَا ، الْقُلُوب آنِية الله فِي أرضه فأحبها إِلَيْهِ أرقها وأصلبها وأصفاها، وإِذا غذي الْقلب بالتذكر وَسقي بالتفكّر ونقي من الدغل رأى الْعَجَائِب وألهم الْحِكْمَة».

قال الطرطوشي في "سراج الملوك" (١١٢):

«وإذا رأيت إنساناً حقوداً لا ينسى الهفوات ويجازي بعد المدة على السقطات، فألحقه بعالم الجمال. والعرب تقول: فلان أحقد من جمل. وكما تجتنب قرب الجمل الحقود فاجتنب صحبة الرجل الحقود».

قلت: الله الله في مجاهدة النفس في التخلص من هذه الآفة، فليس من الآداب العلية أن يحمل الطالب الأحقاد على إخوانه وأقرانه، فالله عَزَّ وَجَلَّ يعطي فضله من يشاء، فالحاسد معترض على قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ ، فهو الذي يعطي ويمنع بعدله وحكمته من يشاء، وإذا رأى من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة، فإنّ الشيطان له مداخل على العبد.

(نَقْلُ الحَدِيثِ بِنِيَّةِ الإِفْتانِ): النميمة خلق ذميم، وهي فساد لذات البين، وتولد الأحقاد، وتهيِّج النفوس، وهي من كبائر الذنوب بالإجماع، وقد تظاهرت الأدلة على تحريمها.

أخرج الإمام البخاري برقم (١٣٧٨)، ومسلم برقم (٢٩٢):

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**»، ثُمَّ قَالَ: «**بَلَى أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**».

قال النووي كما في "شرح مسلم" (٢/٩٣):

قَالَ الْعُلَمَاءُ النَّمِيمَةُ نَقْلُ كَلَامِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ.

وأخرج البخاري برقم (٦٠٥٦)، ومسلم في صحيحه برقم (١٠٥) عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**».

قال النووي كما في "شرح مسلم" تحت شرح حديث حذيفة المشار إليه برقم (١٠٥):

وَكُلُّ مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ نَمِيمَةٌ وَقِيلَ لَهُ فُلَانٌ يَقُولُ فِيكَ أَوْ يَفْعَلُ فِيكَ كذا فعليه ستة أمور :

الأَوَلُ: أن لا يُصَدِّقَهُ لِأَنَّ النَّمَّامَ فَاسِقٌ.

الثَّانِي: أَنْ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَنْصَحَهُ وَيُقَبِّحَ لَهُ فِعْلَهُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يُبْغِضَهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ بَغِيضٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَيَجِبُ بُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُ الله تعالى.

الرَابِعُ: أن لا يَظُن بأخِيهِ الغَائِب السُوء.

الخَامِسُ: أن لا يَحْمِلَهُ مَا حُكِيَ لَهُ عَلَى التَّجَسُّسِ وَالْبَحْثِ عن ذلك.

السَادِسُ: أن لا يَرْضَى لِنَفْسِهِ مَا نُهِيَ النَّمَّامُ عَنْهُ فَلَا يَحْكِي نَمِيمَتَهُ عَنْهُ فَيَقُولُ فُلَانٌ حَكَى كَذَا فَيَصِيرُ بِهِ نَمَّامًا وَيَكُونُ آتِيًا مَا نُهِيَ عَنْهُ هَذَا آخِرُ كَلَامِ الْغَزَالِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَكُلُّ هَذَا الْمَذْكُورِ فِي النَّمِيمَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَصْلَحَةٌ شَرْعِيَّةٌ فَإِنْ دَعَتْ حَاجَةٌ إِلَيْهَا فَلَا مَنْعَ مِنْهَا وَذَلِكَ كَمَا إِذَا أَخْبَرَهُ بِأَنَّ إِنْسَانًا يُرِيدُ الْفَتْكَ بِهِ أَوْ بأهله أو بماله أو أخبر الامام أومن لَهُ وِلَايَةٌ بِأَنَّ إِنْسَانًا يَفْعَلُ كَذَا وَيَسْعَى بِمَا فِيهِ مَفْسَدَةٌ وَيَجِبُ عَلَى صَاحِبِ الْوِلَايَةِ الْكَشْفُ عَنْ ذَلِكَ وَإِزَالَتُهُ فَكُلُّ هَذَا وَمَا أشبهه لَيْسَ بِحَرَامٍ وَقَدْ يَكُونُ بَعْضُهُ وَاجِبًا وَبَعْضُهُ مُسْتَحَبًّا عَلَى حَسَبِ الْمَوَاطِنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ومن جميل ما يذكر عن ابن الوردي أنه وعظ طلاب العلم بمواعظ بليغة، وأوصاهم بآداب عليّة، منها:

مِـلْ عـن الـنَمَّامِ وازجُـرْهُ فـما بلّـغَ المكـروهَ إلا مـن نَقَـلْ

قال الناظم حفظه الله:

[٧٩] حَسِّنْ ظُنُونَكَ بِالأَكَارِمِ وَالنُّهى إِنَّ اللَئِيمَ يَخُوضُ فِي الدُهْقَانِ

❖ الشرح:

اعلم أخي الكريم أنّ الطعن في العلماء بالوقيعة في أعراضهم من الغيبة المحرمة المنهي عنها، وغيبة العالم أعظم من غيره، وذلك لعظم قدره:

قال الحافظ ابن عساكر كما في "تبيين كذب المفتري" (٢٧):

وَاعْلَم يَا أخي وفقنَا الله وَإِيَّاك لمرضاته مِمَّن يخشاه ويتقيه حق تُقَاته إِن لُحُوم الْعلمَاء رَحْمَة اللَّه عَلَيْهِم مَسْمُومَة وَعَادَة اللَّه فِي هتك أَسْتَار منتقصيهم مَعْلُومَة.

وقال: وكل من أطلق لِسَانه فِي الْعلمَاء بالثلب بلاه اللَّه عَزَّ وَجَلَّ قبل مَوته بِمَوْت الْقلب.

وقال ابن المبارك كما في "السير" للذهبي (١٧/ ٢٥١): فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَخَفَّ بِالعُلَمَاءِ ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ. وقد أحسن من قال:

لحوم أهل العلم مسمومة من يعاديهم سريع الهلاك

فكن لأهل العلم عونا وإن عاديتهم يوما فخذ ما أتاك

وقال ميمون بن مهران كما في "البداية والنهاية" (٩/ ٣٤٦):

«العلماء هم ضالتي في كل بلدة، وهم أحبتي في كل مصر، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء».

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "تاريخ الإسلام" (١٣/ ٢٥٦):

«سُنّة الله في كلّ مِن ازدرى العلماء بقي حقيرا».

(حسِّنْ ظُنُونَكَ): أي حسن ظنك بالعلماء أهل الفضل، فإنّ من الحماقة وعدم التوفيق، الخوض في الدهقان.

(يَخُوضُ فِي الدُّهْقَانِ): الدهقان رئيس القوم، والمراد بهم في هذا الموضع العلماء، لأنهم يسودون الناس، ويقودون أقوامهم إلى الخير .

قال الناظم حفظه الله:

[٨٠] فَاللهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ وَجُنودِهِ فِي سَائِرِ البُلْدَانِ

❖ الشرح:

لقد اقتضت سنته سبحانه وتعالى قضاؤه القدري أن ينصر دينه ويعز أولياءه، ولن يخلف الله **عَزَّ وَجَلَّ** وعده، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [الصافات:١٧١]. وقال تعالى : ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** ﴾[غافر:٥٢]، وقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [التوبة: ٣٣].

❊ ❊ ❊

خاتمة المنظومة

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٨١] دُرَرٌ أَتَتْ دَوَنْتُهَا عَنْ عَالِمٍ ... للهِ دَرُّ مَشَايِخٍ شُجْعَانِ

❖ **الشرح:**

هذه الآداب لاشكّ أنها مفيدة نافعة لطالب العلم، فينبغي على الإنسان أن يحرص عليها، وقد اقتبستها من كتاب العلامة بكر بن عبد الله أبوزيد الذي هو "**حلية طالب العلم**"، وهو من أنفس كتب الآداب، نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن ينفعنا بما علمنا، وأن يرزقنا علما نافعا، وأن يكون حجة لنا لا علينا.

❁ قال الناظم حفظه الله:

[٨٢] فَاللهَ أَسْأَلُ أَن يُدِيمَ لِدِيْنِنَا ... عِزًا وَتَمْكِيناً مَدَى الأَزْمَانِ

[٨٣] وكَذَا سُؤَالًا أَن يُثَبِّتَ قَوْلَنَا ... يَوْمَ الوُقُوفِ وَحَسْرَةِ العِصْيَانِ

[٨٤] ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... الهَاشِمِيْ ذِيْ الجُودِ و الإِحْسَانِ

[٨٥] وَالآلِ وَالأَصْحَابِ وَالسَارِي عَلَى ... دَرْبِ الحِجَا وَالبِرِّ وَالإِذْعَانِ

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ.

كتبه:

أبو البراء هاني بن محمد بن حمود بن أحمد الشاحذي

-كان الله له-

في دار الحديث بالعمود من بلاد مأرب

بتاريخ (١٥) رجب (١٤٤١هـ)

على صاحبها الصَّلاة والسلام

المحتويات

تقديم فضيلة الشيخ يحيى بن علي الحجوري ٣
نص المنظومة ٤
مقدمة الناظم ٩
شرح مقدمة المنظومة ١٢
التحذير من شوائب الباطن ١٥
الحث على التمسك بالسنة ولزوم العفة ٢١
وجوب تحري الحق ومراقبة الله في السر والعلن ٢٥
الحث على التواضع للمؤمنين ٢٨
لزوم الصبر والعفة والزهد في سائر الأحوال ٢٩
لزوم الثبات والتحلي بالرفق ٣٧
التحذير من التشبه بالعجم ولزوم غنى النفس ٤٠
الصدع بالحق والحذر من طلب العلم عند أهل الأهواء ٤٣
معرفة الفضل لأهله ٥٥
الاهتمام بالتأصيل العلمي ٥٧
لزوم علو الهمة ٦٣
الحذر من المبتدعة ووجوب التأسي بالسلف ٦٦
لزوم السكينة حال التلقي ودحض الشبه بعلم وبصيرة ٧٠
وجوب العمل بالعلم والرحلة في طلبه ٧٩

الاهتمام بحفظ العلم سبب لنيله ودفع لشبه المبطلين ٨٧
إنفاق العلم سبب لنموه ٩٦
الحث على اغتنام أوقات الشباب في تحصيل العلم ٩٧
الاهتمام بوسائل التأهل العلمي ٩٩
التحذير من آفات العلم ١٠٣
طَرِيقَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ ١٠٥
فَوَائِدُ تَكْرِيرِ السُّؤَالِ: ١٠٦
كيفية التعامل مع عثرات وزلة العالم ١١٦
التحذير من أخذ العلم عن أهل البدع ١٢٣
التحذير من شرور التحزب ١٢٧
خاتمة المنظومة ١٣٥
المحتويات ١٣٦